حول

ترحيب الكوثرى بنقد تأنيبه

بقلم

محمد عبد الرزاق حمزه

كتبت للمقابلة بين النور والظلام ، والهدى والضلال . قال تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شىء ولو كان ذا قربى ، انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه والى الله المصير ، وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء ولا الأموات ، ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور ، ان أنت الا نذير . انا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وان من أمة الا خلا فيها نذير ، وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير . ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير)

قرآن كريم ، صدق الله العظيم

مطبعة الامام ١٢ جامع الاسماعيلى ، الناصرية مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

أطلع علينا الكوثرى ترحيبه بنقد الشيخ عبد الرحمن اليمانى لتأنيبه ، فخرجنا من الاطلاع عليه بالعبر الآتية :

(١) امتعض الكوثرى امتعاضا لم يستطع كتمانه من ظهور كتاب النقض على بشر المريسى للامام عثمان بن سعيد الدارمى ، وكتاب السنة لامام أهل السنة الامام أحمد بن محمد بن حنبل أبى عبدالله الشيبانى رواية ابنه عبد الله عنه مغتاظا مما فيهما من إثبات صفات الكمال لله تعالى ، التى عدها سلفه الجهم ابن صفوان والجعد بن درهم ومن اتبع خطواتهما تجسيما وتشبيها بزعمهم الفاسد ، تعالى الله عما يقول الجهمية وشيعته علواً كبيرا .

ألا فليعلم الكوثرى ـ إن كان يحب أن يعلم ـ أن كتاب السنة للامام أحمد وكتاب الرد على المريسى للامام عثمان بن سعيد الدارمى وأمثالهما ، كلها تدور على روايات وصف الله تعالى بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم وما جاء عن خيار الأمة وسلفها فى ذلك ، وإن شرق بما فيهما الجهميون والمريسيون والجعديون ومخانيث المتفلسفة فى كل

زمان ومكان وعصر ومصر ، وعلى من لايصدق أن يأتينا بخبر في الكتابين لايوجد في كتب الأئمة الأعلام حفاظ الاسلام ، أصحاب الدواوين المشهورة : كمالك وأحمد والشافعي والبخاري ومسلم وأبي داود والترمذي ومن بعدهم كابن جرير وابن أبي حاتم وابن خزيمة وأبي عوان الأسفرائني والآجري والبيهقي ، وابن عبد البر ، ومن لايعد ولا يحصى من أئمة الاسلام وحفاظه ، وعلى من تحشرجت نفسه وضاق صدره بما في كتب هؤلاء الأعلام من الايمان بالله وصفاته ، والهدى الذى جاء به الاسلام ودين النبيين جميعا من وصف الله بالكمال وتنزيهه عن النقص والمحال ، وأنها كلها تدور على رواية السنة التي تبين كتاب الله تعالى وتفسره ـ أقول من ضاق بذلك ذرعا فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ وليمت غيظا وليتفصد حنقا على الحق وأهله .

إن الله تعالى وصف نفسه بما جاء في القرآن بأنه الرحمن الرحيم الذى لم يلد ولم يولد الأحد الصمد لاتأخذه سنة ولا نوم يطعِم ولا يطعَم كما قال (وجاء ربك والملك صفا صفا) وبقوله (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر) وبقوله (وأشرقت الأرض بنور ربها) وبقوله (يخافون ربهم من فوقهم) وبقوله (ورافعك إليّ) وبقوله : (بل رفعه الله اليه) وبقوله (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة

أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك) وبقوله (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) وقوله (بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء) وقوله (وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا) إلى غير ذلك مما لا يحصى كثرة بل هو أكثر آي القرآن وجمهرته ، وأهم ما جاء فيه وأزكاه وأطيبه .

فمن لم يؤمن بهذا وبما فسره من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الأئمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومقتفي آثارهم إلى يوم القيامة ، فليبك على نفسه وليندب حظه من الاسلام ، ونعوذ بالله من مضلات الفتن ، ونسأل الله الذي عافانا مما ابتلى به هؤلاء أن يديم علينا الهداية آمين .

ان الدفع في صدور هذه النصوص وردها بالتحريف والابطال والتكذيب هو داء قديم ومرض عضال وسم زعاف ، نفثه في هذه الأمة الجعد بن درهم وتولى نشره قبل ذلك رأس الدهرية والزندقة فرعون رأس الكفر إذ يقول (يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب ، أسباب السماوات فأطلع الى اله موسى واني لأظنه كاذبا) فليس عند اللعين وشيعته اله فوق السماوات ولا رب استوى على العرش ولا خالق بائن من خلقه يتكلم ويفعل مايشاء ، وعند هؤلاء المخانيث فروخ المعطلة والجهمية أن وصف الله بما وصف به نفسه تشبيه وتجسيم وتجسيد ، ويضربون لذلك الأمثال مخالفين قوله تعالى : « فلا

تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون ، وإذا سئلوا هل تؤمنون أن رب العالمين وخالق الخلق موجود حي عليم قادر مريد سميع بصير ؟ فيقول من لم يكابر منهم نعم ، فاذا سئل عن المجيء لفصل الحساب وإشراق الارض بنور ربها وإتيانه في ظلل من الغمام ونزوله إلى سماء الدنيا وندائه بصوت يسمعه من قرب كما يسمعه من بعد إلى آخر ما جاء في النصوص ، امتعض وانتفض وقال : هذه صفات المخلوقات وتدل على التجسيم ، فيجب أن ننزه الخالق عنها بزعمهم .

فاذا قيل له : وأي فرق بين الحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر وبين هذه ؟ أليست كلها موجودة في المخلوقات ونصف بها الخالق على وجه لا يشبه وصف المخلوقات ؟ فنقول : حياته غير حياة المخلوقات ، وكذلك علمه وسمعه وبصره ، وكذلك مجيئه ونزوله ، فنصفه بالكمال ، وننزهه عن مشابهة المخلوقات بها ، فلماذا لا تقول فيما أنكرت من النصوص كما قلت فيما اعترفت به منها ؟ والكل من واد واحد ومن مشكاة واحدة نصوص قرآنية وأحاديث نبوية كلها نور وإيمان ، والتنزيه في الجميع حتم لابد منه والاقرار في الجميع واحد ، ونفى مشابهة صفات المخلوقات بصفات الخالق إيمان واجب على كل مؤمن .

وإذا طولب المفرقون بفرقان بين وسئلوا عن الفرق بين ماقبلوا وما رفضوا ، لم يكن عندهم إلا تقليد الجعد والجهم وبشر المريسي

الذي توجع الكوثري من نشر نقض الدارمي له ، وانتفخت أوداجه لطبعه وطبع السنة للامام أحمد ، ولم يخف غيظه من أئمة الاسلام : البيهقي وإمام الأئمة ابن خزيمة والخلال وأبي الشيخ وأمثالهم من أئمة الهدى ، والحديث والسنة تحت ستار الدفاع عن أبي حنيفه الذي أغناه الله عن دفاع محب جاهل .

وأخيرا - وليس بآخر - نقول للكوثري إنا آمنا بهذه النصوص على ظاهرها مع تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقات وان اقشعر منها جلد الجعديين والجهميين والمريسيين ، ونوالي عليها ونعادي على إنكارها ، ولنا في ابراهيم والذين آمنوا معه أحسن قدوة ، وأزكى أسوة (إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده)

ولا نهن ولا نخاف ولا يزعجنا تنبز الألقاب ، كحشوية أو مجسمة أو اختراع مخترع لقصة البعوضة التي اخترعها الكوثري ليطفىء نور الله بفمه .

وإن شاء الكوثري أن نباهله أن ذلك هو الصراط المستقيم والسبيل السوي ودين الله الذي جاءت به رسله من أولهم إلى آخرهم ، وأن طريقة الجعد بن درهم والجهم بن صفوان ، وبشر المريسي الذي يتوجع له الكوثري ويغيظه طبع الرد عليه ، هي طريقة النفاة المتفلسفة وضعها لهم رأس الكفر فرعون ،

١

لعنة الله عليه إلى يوم الدين ، واتبعه عليها كل متفلسف متحذلق مجانب للهدى النبوى ، إن شاء أن نباهله على ذلك باهلناه ، والا فليصح ماطاب له الصياح ، وليرتزق بهذه الأوراق التى يخرجها على الناس ما شاء له الارتزاق ، وليموه ماشاء له التمويه ؛ وليدجل ما شاء له التدجيل ، وإن أجاب إلى المباهلة فليذهب إلى ما شاء من مسجد أو مشهد أو قبر ، وأنا سأقف أمام باب بيت الله الحرام الكعبة المشرفة وأدعو الله أن ينزل لعنته على كل كذاب مفتر مداد لسبيل الهدى مبغض لسلف الامة وأئمتها مفتر عليهم مشوه للحق الذى جاءوا به محرف لنصوص الكتاب والسنة صارف لها عن الهدى الذى جاءت به .

(٢) كرر الكوثرى وأعاد فى الدال والمدلول ، والحقيقة والمجاز ، والحرف والصوت والمداد ، وبهت بعض الأئمة كابن قدامة بما لا يصح أن يقوله عاقل ، كل ذلك ليتحلل مما اشتهر من أئمة السلف أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ واليه يعود ، وحاصل ماأبدا وأعاد أنه ليس لله تعالى كلام يتلى بيننا ! وأن مابين دفتى المصحف ليس كلام الله ، مخالف النصوص والاجماع وسلف الأمة وأئمتها ، فما أدرى ما يقول فى قوله تعالى (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون)

بل أدرى أنه سيقول بل قد قال فعلا : حتى يسمع مدلول أو دال كلام الله لا أن يسمع كلام الله حتما وهذا هو تحريف كلام الله بعد سماعه وعقله تقليدا لمتفلسفة اليونان .

وإذا قيل له : هل نادى الله موسى وناجاه وقربه نجيا وهل سمع موسى كلام الله ؟ فسيقول بل قال : إنما سمع مدلول أو دال كلام الله ، وهكذا من أنواع هذه القرمطة التى تفسد العقول والفطر ، وتشكك فى كتب الله وشرائعه .

ونسأله عما تقر به العقول وتعترف به الفطر أن الكلام هو كلام من قاله ابتداءاً وانشاءاً وتأليفاً فهذا القرآن الذى نسمعه من القارىء ونسمع صوته به: من الذى قاله ابتداء ومن أول من قال (الم) (المص) (المر) (كهيعص) (طسم) (ص) (ق) (ن) أهو الله الذى تكلم بذلك أولا ونزل به الروح الأمين جبريل على قلب النبي الأمى محمد ﷺ وقرأه النبى على أصحابه ؟

إن قلت ذلك فهذا هو المطلوب ، القرآن كلام الله تكلم به أولا وهو كلامه حقا وما نسمعه من القارىء هو كلام الله نسمعه من صوت القارىء وليس هو كلام القارىء ، فالكلام كلام الله حروفه ومعانيه والصوت صوت القارىء رخيماً وغليظا ، ففرق فى الفطر السليمة بين الكلام المؤلف من كلمات وحروف وبين الصوت الذى هو اهتزاز الهواء فى الحنجرة والفم وطبقات الهواء ، وكل ذى فطرة سليمة يعلم أن (الحمد لله رب العالمين) كلام الله وصوت القارىء بها هو صوت القارىء ، ومداد الكاتب لها مداده ،

والكلام وجود فى الأعيان وفى الأذهان وفى الكتابة .

فان قلت إن الذى نسمعه من القراء ونكتبه فى المصاحف ، ليس كلام الله فقل لى بربك : من أول من تكلم به بكلماته وحروفه واعفنا بربك من دال ومدلول وحكاية وعبارة التى تؤول إلى أن القرآن بكلماته وحروفه ليس كلام الله ، فتشبه فيلسوف قريش اذ يقول فى القرآن (إن هذا الا سحر يؤثر. إن هذا إلا قول البشر) وقولهم (وقالوا أساطير الأولين اكتتبها ، فهى تملى عليهم بكرة وأصيلا)

وبعد : فانا نؤمن أن القرآن كلام الله ألفاظه وحروفه ومعانيه ، ليس من تأليف مخلوق ، لا جبريل ولا محمد ولا اللوح المحفوظ ، ولا من نظم أى مخلوق غير الله تعالى قرأه القارىء ، فالكلام كلام الله ، الصوت صوت القارىء ، أو كتبه الكاتب فالكلام المكتوب كلام الله ، والكتابه والمداد وحركة اليد فعل الكاتب ، والورق صنع الوراقين ، والحديث يقول : « إن الله ينادى بصوت — أى يوم القيامة — يسمعه من قرب كما يسمعه من بَعُد » ونقول : إن الله كلم موسى وأسمعه كلامه بقدر ما يتحمل سمع موسى من كلام الله ، وأننا سنسمع كلام الله فى الجنة فلا يكون شىء ألذ ولا أجمل من سماع كلام الله من الله ، وليحرم الجهمية والجعدية والمريسية أنفسهم من الايمان بسماع كلام الله

تعالى ، وران على قلوبهم ما اخترعته لهم الفلسفة من دال ومدلول وعبارة وحكاية ومحال ، حتى حرمتهم لذة كلام الله تعالى والايمان به عند تلاوته وأسقطت حرمته من قلوبهم .

اللهم إيمانا كإيمان العجائز ، ونحمدك على العافية من فلسفة الرازى والآمدى والتفتازانى ونفى الجعد والجهم والمريسى وأذنابهم إلى عصر الكوثرى ، ولك الحمد والمنة على ما هديتنا ووفقتنا من الايمان بكتابك الكريم وسنة نبيك الهادى إلى صراطك المستقيم واتباع سلف الأمة وأئمتها واقتفاء خطاهم وسلوك سبيلهم ومجانبة طرق الغواية والضلال والغضب من أمثال جعد وجهم وبشر ومن ينصرهم ويغضب لهم ويحمى حمية الجاهلية للرد عليهم وبيان زيغهم وزيفهم ويحذر من شرورهم وينصح للمسلمين وأئمتهم وعامتهم ، ولكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ ويحتمل الأذى فى بيانها وتعليمها ونشرها والصبر عليها والدعوة عليها وإن كرهها الكارهون ، وغضب لتبيانها ونشرها وطبع الكتب الهادمة لضلال جعد وجهم وبشر وأمثالهم ومن غص بنصوص القرآن والسنة وطريق سلف الأمة وأئمتها . ونسأله تعالى بحقه وكرمه ولطفه كما هدانا لهذا أن يديمه علينا إلى الممات ، وأن يحشرنا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

(٣) يرمى الكوثرى خيار الأمة الذين قالوا : إن الايمان

قول وعمل واعتقاد ، ويزيد بالطاعات وينقص بالمعاصى قالوا ذلك اتباعا للنصوص الصريحة المستفيضة من القرآن والسنة : بأنهم فى سبيل لانحياز إلى المعتزلة أو الخوارج متهما لهم أنهم يقولون : إن من أخل بشيء من العمل يكون أخل بالايمان ، فبئسما افتراه عليهم كبرت كلمة تخرج من فيك يا كوثرى أن يكون خيار الامة وأكابر الأئمة مالك والشافعى وأحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى ومن قبلهم من التابعين والصحابة ومن بعدهم ممن هو على آثارهم منحازين إلى المعتزلة والخوارج شاعرين بزعمك أو غير شاعرين ، وهم أعرف الناس بشرور المعتزلة والخوارج وضلالهم وأنصح الامة للامة بالبعد عن الانحراف عن طريق أهل السنة والجماعة تشهد بذلك أقوالهم وآثارهم وتعاليمهم، كتبهم ومجالسهم وتلاميذهم فى كل بلد وفى كل عصر ومصر إلى يوم القيامة .

لقد قالوا : يتفاوت الايمان من أدنى درجاته فى آخر من يخرج من النار إلى أعلى درجاته فى أعلى عليين من أهل الغرف الذين يتراءون كالكوكب الدرى الغابر فى الافق ، ولم يقولوا إن إيمان السكير العربيد الذى لا يدرى عن نفسه لسكره وعربدته كايمان جبريل وميكائيل ومحمد رسول الله ﷺ وصديق الامة أبى بكر وفاروقها عمر وغيرهم.

لم يقولوا بهذه المخزيات ، وإنما قالوا بما قال الله ورسوله من

تفاوت أهل الايمان فى الايمان والاعمال وتدرجهم من فى قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من الايمان إلى سكان الفردوس أعلى الجنة وصاحب الدرجة الرفيعة والوسيلة والمقام المحمود ، ولا يقولون إن من أخل بشىء من الاعمال يكون قد أخل بالايمان كما بهتهم به هذا البهات وافتراءعليهم ، فأقوالهم وكتبهم وتعاليمهم ومتواتر مذاهبهم أن المؤمن يكون فيه خير وشر ؛ وله حسنات وسيئات ولا يخلو من الخطأ إلا الشيطان الرجيم ، ولا يسلم من الشر الا الملائكة والنبيون صلوات الله عليهم أجمعين ، وهذا هو السبب فى تصريحهم بالاستثناء فى الايمان ، فيقول أحدهم : أنا مؤمن ان شاء تعالى اعترافا بالخطأ والنقص وتقريراً للتقصير والتوانى ؛ وإيمانا منهم بأن هذا الدين لن يشاده أحد الا غلبه ، فيسددون ويقاربون ويستغفرون الله لتقصيرهم وعدم اللحاق بأول القافلة ، فيستثنون فى الايمان .

لهذه المقاصد الصحيحة لاشكا فى دينهم كما نجناه عليهم هذا المتجنى وأضرابه الذين قالوا (سؤال) هل يجوز التزوج بالشافعية التى تقول أنا مؤمنة ان شاء الله فنشك فى دينها ؟ (والجواب) يجوز قياساً على الذمية اليهودية والنصرانية ، يا للعجب العجاب وضياع العقل والصواب ! مسلمة تؤمن بالله واليوم الآخر تعترف أن الايمان يزيد وينقص بنص القرآن[1] والحديث ولا تعرف كم

(١) أنظر الآية ٢ من سورة الأنفال
...

عندها من درجات الايمان ، وكم حصلت من شعبه وأغصانه أو بتعبير حسابي عصري كم النسبة المئوية أو الألفية عندها من الايمان ، فتكل الأمر إلى علام الغيوب(٢) وتقول أنا مؤمنة إن شاء الله تعالى ، فيأتي قوم يقولون إن إيمان السكير العربيد كإيمان جبريل وميكائيل ومحمد وأبي بكر ، يقولون بكفرها ويشككون في جواز نكاحها ، ثم يستحي منهم من بقي للحياء فيه بقية ، فيقيسها على اليهودية والنصرانية ! مسلمة تقاس في جواز نكاحها بجواز نكاح اليهودية والنصرانية ! ؟

وأنا بدوري على قلة عنايتي بأصولهم ، أتعجب من هذا القياس الذي تأباه أصولهم وأوضاعهم ، فهذه المسلمة التقية التي استثنت في إيمانها خوفاً من الله تعالى أن تتألى عليه بشيء لا تحيط بمداه وجوانبه تحكم عليها قواعدهم أنها شاكة ، فهي بزعمهم مرتدة ، فكيف جاز قياسها على اليهودية والنصرانية في حل النكاح ؟ فالقياس المتجه شكلا على أصولهم ، الباطل موضوعاً بنص كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أن هذه الشاكة المرتدة تقتل بعد أن تستتاب ، لا أن يحل زواجها قياساً على اليهودية والنصرانية بزعمهم التي لا تقتل ولا تستتاب ، والقوم أهل القياس ، فكيف غاب عنهم الفرق بين المرتدة والذمية ؟

إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بشر بقصره في الجنة ،

رآه رسول الله ﷺ ، فبكى للبشارة ، وأن عائشة أم المؤمنين تقول فى قول الله تعالى « الذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون » فتقول : هم الذين يزنون ويسرقون ويخافون ، فيقول لها النبى ﷺ : لا يا ابنة الصديق بل هم الذين يصلون ويتصدقون ويخافون أن لا يقبل منهم ؛ أو كما قال ﷺ على ما جاء الحديث فى ذلك فى مسند الامام أحمد رضى الله عنه وأرضاه وأسكننا الجنة معه بمنه وكرمه .

أفما يكفى هذا وأمثاله وأمثال أمثاله لزجر العاقل المؤمن عن أن يجزم بشىء لا يحيط علمه بحدوده ؟ ويدعى اجتماع شعب شجرة الايمان فيه ؟ وهو لا يدرك معرفة عشر عشر معشارها ، فضلا عن العمل به فيستحى أن يقول أنا مؤمن حقا ، وأن إيمان السكير العربيد وآكل مال اليتامى وقاطع الطريق وربما قاتل الأنبياء والصديقين هو كايمان جبريل وميكائيل ومحمد وأبى بكر وعمر وعثمان وعلى ؟

لنا أن نسأل الكوثرى سؤالا ، ليخرج لنا جوابا يتجر به ويأكل به طعامه ويرتزق به (وطالب القوت ما تعدى) نسأله سؤالا لعله يستجدى أهل الجدوى بسببه فى نفقات طبع جوابه ونشره ، ونكون قد أحسنا اليه ولو بطريق غير مباشر ، وهذا هو السؤال :

إذا كان الايمـان هو المعرفة والتصديق فقط ليس معه شيء من عمل القلب : خوفه ورجائه وخشيته وتقواه ، وليس معه شيء من عمل الجوارح لا نطق اللسان ولا عبادة الله ولا الركوع ولا السجود ، بل وقد يكون معه قتل الأنبياء وتكذيبهم والسجود للاصنام والذبح لهم ـ إذا كان الايمان يكون هـكذا ، فلماذا كفر اليهود وهم الذين يعرفون الرسول والحق كما يعرفون أبناءهم ولماذا كان فرعون رأس الكفر وهو الذى يعلم أن آيات موسى أنزلها رب السموات والارض بصائر وتأييداً لموسى ؟ ولماذا كان هو وقومه أكفر خلق الله وهم الذين أيقنوا بآيات الله (واستيقنتها أنفسهم) ولماذا كفر كفار قريش وهم الذين قال الله فيهم (فانهم لا يكذبونك) ولماذا كان إبليس رافع راية الكفران وهو يعلم أن الله رب العالمين وهو يعترف بعزة الله وهدايته وربوبيته ؟

نريد جوابا إرجائيا أن الايمان معرفة فحسب حتى يكون كل هؤلاء مؤمنين حتما كايمان جبريل وميكائيل ومحمد وأبى بكر وعمر وعثمان وعلى والعشرة المبشرة بالجنة ، والصحابة أجمعين ؛ وإلا فليستح المجادل فى الحق بعد ما تبين ، والرزق على الله تعالى ، لا على الاشتراء بآيات الله ثمنا قليلا ، والتعيش بالدجل والتغرير بالاغنام ، والاتجار بدين الله تجارة باطلة مغشوشة سخيفة ولنتوجه جميعا إلى الاهتمام بالمسلمين اليوم ، والفتن التى تحيط بهم وتحل قريبا

من دارم ، وأعداء الله ورسوله وأعداء الديانات جميعا يتسابقون جميعا إلى اختراع المهلكات والمدمرات من قنابل ذرية جهنمية وإيدروجينية وجهنميات الجو والبر والبحر والسماء والأرض .

فلنستح جميعا من هذا الجدل الباطل والتشكيك فى دين الله تعالى لدى العامة وأشباه العامة ، وإضحاك العقلاء علينا ، لأننا نعيش فى غير عصرنا ونخالط من لا يعرفنا ولا نعرفه ، إن كان بقى عندنا الحياء بقية .

(٤) يرمى الكوثرى المؤمنين بكتاب ربهم ، والمتبعين لسنة نبيهم ، والمقتفين لآثار السلف الصالح من الصحابة والتابعين المقتدين بأئمة الهدى فى العمل بالكتاب والسنة المؤمنين بأن كتاب الله وسنة نبيه حق وهدى ونور فى كل زمان ومكان وفى كل عصر ومصر ، وليست ألغازاً ولا أحاجى ، ولم يتولّ الله بنفسه حفظ كتابه وسنة نبيه إلى اليوم وإلى ما شاء الله تعالى إلا للعمل بهما والاهتداء بهديهما لا لكتابة حجب بهما وأكل عيش بالتغنى بها فى مجالس الأفراح والمناحات وأذية الأموات عند القبور وعدم حصر دين الله الكامل الشامل العام الرحمة المهداة إلى العالم أجمع فى نفر يقل عددهم عن أصابع اليد الواحدة والزام الناس بآصار وأغلال ونخالات افكار سقيمة عقيمة ، وتقييد الناس وتغليلهم بقيود المتهوكين وأغلال من يشبه الأحبار والرهبان الذين

يأكلون أموال الناس بالاثم ، الصادين عن سبيل الله البيضاء النيرة التي تركنا عليها رسول الله ﷺ حتى اضطروا الناس إلى الحشر فى جحر الضب من قيود التقاليد وأغلالها ؛ واضطروهم إلى الخروج عن هذا الدين الحنيف الذى عسروه بضيق عقولهم ، ودنسوه بسخفهم - إلى الخروج إلى حرية عصرية ومدنية فاسقة خليعة ، بسوء عمل هؤلاء المسيئين إلى ربهم وكتابه ودينه ورسوله - يسمى الكوثرى هؤلاء المهتدين نبزاً لهم باللامذهبية زاعماً أنهم قنطرة اللادينية ، وهذا ليس وراءه وراء فى قلب الحقيقة ولبس الحق بالباطل ، وليس ذلك بأول عجائبه ولا بآخر لجاجه ، فان متبعى الكتاب والسنة فى كل زمان ومكان هم حجج الله فى أرضه وهم نجوم الهداية لخلقه ، وهم ورثة الأنبياء الذين لم يورثوا درهماً ولا دينارا ، وإنما ورثوا العلم والهدى والبصيرة فى الدين .

فهل لنا أن نسأل الكوثرى عن البلاد التى نبذته مع أضرابه الذين لبسوا الدين مقلوبا ، وجعلوا منه حجباً وتمائم ومحللات نكاح بتيس مستعار ، نسأله : كم كان فيها مهتدون بالكتاب والسنة ممن يسميهم لا مذهبية - بدوا لها استبدال قوانين أوروبا ومدنيتها وكفرها بدين الله حقه وباطله؟ فليسم لنا واحداً ممن سألناه عنه ، فاذا لم يقدر أن يسمى واحداً فى تلك البلاد - وهو ما نسجله عليه من الآن إلا إذا كان مباهتاً مفتريا -

فليقل رضى أو سخط إن سبب خروج حكومة هذا الشعب الاسلامى على تعاليم الاسلام الصحيحة والخرافية هو وأمثاله الذين شوهوا دين الله وجعلوه لعباً ولهوا وعصبية وباطلا وحجباً وتمائم وتحاليل أنكحة .

وأنا أعفى الكوثرى من السؤال عن سبب استبدال مصر بفقه الفقهاء قوانين وضعية أساسها قانون نابليون ، لعله لا يعرف ذلك أو يعرفه ، ولا يعترف به ان أمير البلاد طلب إلى شيوخها على لسان أحد المثقفين أن يخرجوا خلاصة مذهبية مهذبة الأطراف والحواشى ، مبوبة منظمة تعتمد قولا واحداً من أقاويل متعددة لا يعرف الحق فى أيها ليقدمه للمحاكم لتقضى به على المتحاكمين اليها من وطنيين وأجانب ، فاستعفى الأمير ذلك المثقف بأنه كبرت سنه ولا يحب أن يطعن الشيوخ فى دينه بهذا الطلب منهم ، لما يعلمه من جمودهم على ماهم فيه وطعنهم فيمن يحاول تحويلهم عنه ، فلجأ الأمير إلى أرمنى لخص له خلاصة قانون نابليون وأعلنه حكما يتحاكم اليه فى المحاكم ، فنسخت بذلك شريعة الاسلام فى المحاكم المدنية والجنائية وسائر المعاملات ، فمن المسؤول عن تأخير فقه المذاهب ونسخ الشريعة الاسلامية فيها حتى لم تبق للمحاكم الشرعية إلا حثالة من الأحكام الشخصية ، مثل الطوائف الأخرى من يهود وقبط ومارون فى النكاح والطلاق

والعدد والنفقات : هل المسؤول هم المهتدون بالكتاب والسنة الذين يسموهم الكوثرى لا مذهبية أم شيوخ التقليد وعمائم المذاهب وأعداء المهتدين بكتاب الله وسنة نبيه ، أمثال الكوثرى ممن اتخذوا دين الله هزوا ولعبا ، ثم يذهب فى غير حياء فيرمى هؤلاء الهداة المهتدين بأنهم قنطرة اللادينية بهتاً وبغياً وعدوانا ، فالله حسيبه يوم القيامة .

(٥) يتبرأ الكوثرى من تهمة الطعن فى الأئمة ، مع أنه سجل على نفسه الطعن فى الأنساب الذى بقى فى هذه الامة من أمور الجاهلية ، فليس للشافعى عنده ميزة من علم ولا فضل ولا فهم ولا عربيه ولا معرفة بالكتاب والسنة والعربية سوى قرشية فيها اختلاف يفضله فيها من ليس فى قرشيته خلاف كقرشية أبى حنيفة مثلا ، وليس لمالك مزية سوى سكنى المدينة فى وقت لا فضل فى سكناها ، وليس لأحمد بن حنبل فضل سوى كثرة الحديث من غير تمحيص ولا غوص ، نهى قليلة الجدوى .

فمالك سكن المدينة فى وقت لا فضل فى سكنى المدينة فيه ، ولاحمد كثرة من الحديث بلا تمحيص ولا غوص ، والشافعى مختلف فى قرشيته مع غمزه بفحوى الحديث ، من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه ، ولا ندرى ما هو تبطىء عمل الشافعى به الذى

لا ينفعه معه نسب مختلف فيه ، فماذا بقي للأئمة من فضل عند من سماه بعضهم مجنون أبي حنيفة ، وأنا لا أقول عنه مجنون أبي حنيفة . وإنما هو مجنون ارتزاق واستجداء وتكفف واتجار بالدين تجارة غير شريفة بين أناس يهز أريحيتهم المالية أمثال هذه التمويهات .

وثالثة الأثافي طعنه على أنس بن مالك خادم النبي ﷺ ، وأحد فقهاء الصحابة وحفاظها بالخرف والكذب على رسول الله ﷺ والأمية ، بسبب الكبر والشيخوخة وطول العمر الذي أعطاه الله إياه ببركة دعاء النبي ﷺ له بثلاث : منها طول العمر فهل استجاب الله دعوة نبيه ﷺ لخادمه أنس ؟ ليهرم ويخرف ويكذب على رسول الله ﷺ أنه رضّ رأس اليهودي قاتل الجارية الانصارية برض رأسها فقتله من غير بينة ، ورواية الاعتراف دلسها قتادة فيكون طول عمر أنس ببركة الدعوة النبوية ليكذب على رسول الله ﷺ أنه قتل يهوديا بلا بينة ورض رأسه خلافا لمذهب أبي حنيفة الذي لو أدرك النبي ﷺ لأخذ النبي الدين عن أبي حنيفة (وهل الدين إلا الرأى الحسن) الذي امتاز به أبو حنيفة ، فلما لم يقتص من اليهودي بالسيف ، ولو ضربها بأبا قبيس ! أقول طعن الكوثري في أنس بهذه الطعون خرف وهرم وكذب على رسول الله ﷺ تحت ستار

عدم رفع الصحابة إلى مستوى العصمة ، وتحت ستار أن ابن عدى طعن فى كامله فى بعض الصحابة ، وتحت ستار أن الطعن فى أنس بهذه الطعون السالفة ، هو من باب التخير فى أقوال الصحابة ، وأن ذلك منهج أهل التحقيق ، وأن عقلية أبي حنيفة الجبارة صرفته عن الأخذ بحديث أنس وانتصار الكوثرى له ، باتهام أنس بالخرف والهرم والشيخوخة والأمية التى يكذب معها على رسول الله ﷺ ، تلك العقلية التى لو كانت ظهرت فى زمان رسول الله لترك لها الوحى وأخذ بتلك العقلية الجبارة الفارسية الفلسفية ، وهل الدين إلا الرأى الحسن ؟

وكأنى بالكوثرى يكسب رزقه برمينا بعداوة أبى حنيفة ، فأجيبه بالمثل السائر (عدو عاقل خير من محب جاهل) وحكاية الدبة التى قتلت صاحبها بضرب الذبابة على وجهه بحجر يعرفها صبيان المكاتب .

اليك نموذجا من احترام الكوثرى لأئمة المسلمين من الصحابة فمن بعدهم :

(١) أنس بن مالك خادم النبي ﷺ شاخ وكبر ، فخرف وروى عن النبي ﷺ مالم يقله ولم يعمله من قتل يهودى بلا بينة ورض رأسه بالحجارة بدل قتله بالسيف الذى يراه أبو حنيفة ، وهو الرأى الحسن الذى لايكون الدين عنده إلا الرأى الحسن ،

خلافا للوحى وللكتاب والسنة .

ورواية أبى قتادة أن القاتل اعترف رواية مدلسة اخترعها قتادة لينقذ الموقف أمام صولة أصحاب الرأى الحسن الذى لا يكون الدين عندهم إلا إياه .

(٢) الصحابة والتابعون ومن بعدهم الذين يقولون : الايمان قول وعمل واعتقاد ، هم منحازون إلى المعتزلة والخوارج شعروا أم لم يشعروا بذلك .

والذى يقول العمل من الايمان ، يلزمهم الكوثرى أنه الاخلال بشىء من العمل — أى إخلال كان — يكون مخلا بالايمان فيلزمهم بتكفير من قصر — أى تقصير فى أى عمل من الأعمال — وهو ما ينكرونه ويبدعون قائله ويضللونه ، ولذلك تورعوا عن إطلاق أنا مؤمن حقا ، وتبرأوا من الغرور بالله وقالوا بل نقول نحن مؤمنون إن شاء الله ، لا شكا فى إيمانهم بل تفويضا للمشيئة الالهية والعلم الربانى فى تقدير كمية إيمانهم ونسبته المئوية من الكمال وبعداً عن الغرور ، ورؤية العمل وتسليما بأن الايمان يتفاوت درجات لا يعلمها إلا الله تعالى ، لذلك سماهم الكوثرى وأشباهه شكاكين فى ايمانهم ، وتوقفوا فى جواز زواج الشافعية التى تقول أنا مؤمنة إن شاء الله تعالى ، والمستحى منهم قاس جواز زواجها على جواز زواج اليهودية والنصرانية ، مع أن ذلك قياس

فاسد شكلا ، باطل موضوعا على أصولهم ، إذ كيف يقاس مرتد بزعمهم على كافر أصلى ، وشاك على ذمى ؟

(٣) مالك إمام أهل المدينة، ليس له ما يرغب فى اتباع مذهبه سوى سكنى المدينة فى زمن لا مزية لسكناها إذ انتشر العلم فى غيرها أكثر منه فيها .

(٤) الشافعى إن رغب راغب فى اتباعه لقرشيته ، ففى قرشيته خلاف ، ولا تنس الحديث (من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه) فلوح بابطاء عمل الشافعى به ، فان صح نسب الشافعى ، وهو ما فيه خلاف ، فان يجبر قصوره فى عمله ، فكيف والخلاف فى نسب الشافعى قائم عند من ورث الجاهلية فى الطعن فى الانساب

(٥) أحمد بن حنبل إن رغبت فى مذهبه لكثرة حديثه فأنت مخدوع ، فما جدوى كثرة الحديث بلا تمحيص ولا غوص ولا تحقيق من ردها بالآراء الجبارة والأقيسة الفارسية ؟

(٦) الذين قالوا : القرآن كلام الله غير مخلوق من الصحابة والتابعين فمن بعدهم وصفوا الله بالكلام والحرف والصوت ، فهم مجسمة مشبهة حشوية ، لم يعرفوا الفرق بين الدال والمدلول والحقيقة والمجاز ـ وكلام الله هو علمه عند الكوثرى ، وعلم الله قائم بذاته ، فليس لله تعالى على تحقيق الكوثرى وأضرابه ـ بيننا كلام يتلى أو يكتب ولا ثم إلا صوت القارىء ، ومداد

الكاتب ، أما كلام الله تعالى الذى أنزله على نبيه وقرأه النبى على أصحابه وتلقاه الناس عن الصحابة ، فلا وجود له بيننا ، والذى يعترف به ورثة الجعد بن درهم والجهم بن صفوان وبشر المريسى أن الموجود عندنا من كلام الله عبارة أوحكاية أو ترجمة لكلام الله فقط لا أكثر ولا أقل ، والقرآن من أوله إلى آخره أصوات القارئين ومداد الكاتبين وليس كلام الله ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا .

(٧) أبو نعيم والبيهقى والخطيب والخلال وأبو الشيخ والحاكم وغيرهم من الأئمة ، متعصبون فهم غير ثقات ، فلا يقبل توثيقهم ، ويزيد الخطيب الذى روى ما سجله التاريخ من حال أبى حنيفة ، ولم يزد على التاريخ حرفا واحدا يزيده الكوثرى بوسام يخصه به هو أنه سخيف من سخفاء الرواة

(٨) أبو عوانة الوضاح بن عبد الله اليشكرى شيخ شيوخ أصحاب الكتب الستة ومنهم البخارى ومسلم هو وضاع كذاب فيكون رواية البخارى ومسلم عن هذا الوضاع الكذاب ، غش وتدليس وتضليل ، ويدافع عن هذا البهتان باستبعاد خطأ الطابعين ، وبأن الخطأ خلاف الواقع ، فالمخطىء كاذب فهو واضع ووضاع ، فلا بأس أن يكون أبو عوانة وضاعا إذا عرف له خطأ على تحقيق الكوثرى . والخطيب متهم فيما رواه من حال أبى

حنيفة ، ولو كان لم يرو إلا ما رواه الناس قبله : البخارى وابن الجارود والساجى وابن خيثمة وابن عبد البر حافظ المغرب وغيرهم من حفاظ الاسلام و بنادره وبحور علومه .

(٩) الحاكم أبو عبد الله مخلط إذ وجد فى مستدركه الذى كان مسودة فلم يبيض عدة أحاديث موضوعة ، فاذاً لا قيمة له فى توثيق ولا تجريح .

(١٠) الذهبي شيخ النقاد اذا نقد كلام الحاكم ممتناً له ، انما يتابع الحاكم متابعة الاعمى لقائده ، فلا قيمة لذلك عند الكوثرى وان خالفه الناس جميعا فى الانتفاع بعلم الذهبى وتحقيقه وجرحه وتعديله وتدوينه تاريخ الاسلام ، طولا ومختصرا .

(٦) يمتعض الكوثرى من طبع الطابع مجموعة لشيخ الاسلام ابن تيمية فيها عدة رسائل فيها بيان عن رأس الحسين أين دفن وبيان نقول الرافضة وأسانيدهم فى النقل وما يعولون عليه فى بناء رفضهم ، وفى المجموعة رسائل أخرى مفيدة كجهاد الكفار والدعوة إلى التعاون وإحياء طرق الخير وغيرها ، مما يحبه كل محب للعلم النافع وتمحيص الحقائق ، فاذا كنا عرفنا سبب امتعاض الكوثرى وتوجعه من طبع الرد على المريسى توجعاً للمريسى وللجهم والجهم وغيظه على السنة لامام أهل السنة أحمد ابن حنبل لما حوت من الروايات فى إثبات صفات الكمال لله

تعالى التى لا تعدو أن تكون بياناً لما جاء من ذلك فى القرآن المجيد ، والتى هى عمدة أهل الحق والسنة والجماعة من الصحابة والتابعين وأئمة الهدى فى كل عصر ومصر ، وان اقشعرت منها جلود الجهمية وأفراخ المتفلسفة - إذا كنا عرفنا سبب امتعاضه وألمه من ذلك ، فانا لما نعرف - وربما نعرف بعد ذلك أسباب غيظه من هذه المجموعة وطبعها وطابعها - هل هو الشفقة على باطل الرافضة وتحليل أسانيدهم والحث على جهاد الكفار ؟ أو هو البغض لشيخ الاسلام ابن تيمية وآثاره الطيبة ؟ كبغض الجعل لروائح الزكية ؟ أو هو الترويج للعامة وما يعتقدونه فى الحسين رأساً وجسداً إنه فى ذلك المشهد المشهور باسمه فى القاهرة الذى أحدثه العبيديون ، وإبقاء العامة على ماهم فيه من ضلال وغلو وطواف بالقبر ونذور بنفيس الأموال والاوقات حول قبر مفتعل ومشهد مصنوع ، صنعه الملاحدة العبيديون الاسماعيلية ، ولو كان جسد الحسين رضى الله عنه فى هذا القبر ورأسه ، لما جاز هذا الضلال والغلو عنده ، فيكون قد أعطانا الكوثرى لوناً آخر من ألوان نفسه غير ما نعرفه عنه من الدفاع عن الجهمية وعداوة أهل السنة ذلك اللون هو تألمه للرافضة والقبورية وعداوته للناصح للناس وهاديهم إلى طريق الحق بالبيان والعلم والنصيحة ، إن كان ذلك فنعم ما أبان الكوثرى لنا من دخائل نفسه وذات صدره ، ولا أصدق

من اعتراف الجاني بجنايته وشهادة الشخص على خافيات صدره ، وما يكنه قلبه ، والاعتراف ولو بلحن القول أقوى الأدلة المثبتة وأثبت البيانات والشواهد على المقر المعترف إلا إذا كان مخبولا يقول ما لا يعقل ، وحينئذ نعرف من الكوثرى : جهمياً جعدياً مريسياً رافضياً قبورياً عدواً للأئمة والسنة والسلف محباً جاهلا للباطل ، فليهنأ بذلك كله والموعد الله يوم القيامة .

(٧) يتمدح الكوثرى بنزاهة قلمه وينتزع لنفسه من كلام ناقده ، منزلة فوق مستوى البشر ويتضجر من بيان حاله فى رسالة صاحب الطليعة أو المعلق عليه أو طابعها ، وأصارحه أن هذه الألفاظ الجارحة هى من صاحب التعليق ، لا من المؤلف ولا من الطابع ، ذلك أنى أردت أن ألفته عن أعراض الأئمة الكبار شموس أهل السنة وبدور تاريخ الاسلام : كأبى نعيم والبيهقى والخطيب وأبى الشيخ والحاكم وابن أبى خيثمة الذى لم يستح الكوثرى النزيه المترفع فوق مستوى البشر أن يسمى الحافظ الخطيب سخيفاً من سخفاء الرواة ، ولا أن يتورع عن رمى هؤلاء الأئمة وأمثالهم بأنهم غير ثقات وأنهم متعصبون متهمون وأن مبين تمويهاته الشيخ اليمانى أنه مصحح أوراق بالمطبعة العثمانية - يعنى أنه يكتسب قوته بعرق جبينه - شأن المسلم التقى فى خير العصور لا أنه يعيش على الدجل والاستجداء وجلب الرزق من تضاليل

العوام وتسميم عقولهم ودينهم وخلقهم ، ونصب نفسه مدافعاً عن ضلالهم وخرافاتهم .

فان قدرت أنا على تحويل الكوثرى عن أعراض هؤلاء أئمة الدين والحديث والهدى إلى عرضى - وما هو بغال عندى - فى سبيل وقاية عرض هؤلاء من ارتزاق الكوثرى ، ومن الولوغ فيه . . . أكن قد ربحت ربحاً عظيما من جهة ، ومن جهة أخرى أكون قد قدمت للكوثرى عكازاً يتوكأ عليه لجلب رزقه من جيوب مغفلين يسخون عليه بنفقات طبعها وبذل سخى فى شرائها وترويجها (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا) ولا بأس أن نشغل الكوثرى بشىء من هذا حتى نستريح من تجارته التى اعتادها من رمى خيار الأمة ، بالتعصب وعدم الثقة من أجل أنهم قاموا لله تعالى برد بطلان المبطلين ، ولا بأس كذلك أن يرميني فوق ما رمانى به من النذالة والبهتان بما شاء له قلمه وعلمه ، ولست أستشهد لنفسى بألوف المصلين ورائى فى المسجد الحرام ، وإنما حسبى رضا م وكفى ؛ وليغضب علىّ بعد ذلك الكوثرى ما شاء أن يغضب ، وليسبنى ماشاء له السب ، وليشتمنى ماشاء له الشتم ، فأنا أجلس فى حلقة تدريس التفسير والحديث فى المسجد الحرام أول بيت وضع للناس لعبادة الله تعالى ، وأؤم الناس فى الجمع والأعياد والجماعات ،

نيابة عن إمامه الأول ، وأخطب الجمع والاعياد على منبر المسجد الحرام على ألوف الحجيج والمصلين ، وأدرس الحديث متنه وفقهه بدار الحديث المكية ، وحسبي ذلك كله فى رد شتائم الكوثرى وبذاءته

(٨) يغلو الكوثرى غلواً لا يقبله ذو عقل منصف فى إمامه أبى حنيفة ، بما نظن أن أباحنيفة لا يرضى مثل هذا الغلو والاطراء عملا بحديث (لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله)

ويقول الله تعالى (لا تغلوا فى دينكم) وإذاً فأبو حنيفة رجل كسائر الرجال له ما للناس وعليه ما عليهم ، فليس هو كما زعم الزاعم فيه أنه لم يظهر لأحد من أئمة الاسلام المشهورين مثل ما ظهر له من الاصحاب والتلاميذ ، ولا أنه لم ينتفع العلماء وجميع الناس بمثل ما انتفعوا به وبأصحابه فى تفسير الاحاديث المشتبهة والمسائل المستنبطة والنوازل والقضاء إلى آخر ما حشى به كتابه هذا المحب الجاهل الذى خير منه عدو عاقل ، يضع الامور فى ميزان العدل والانصاف ، ويقول : إن كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا المعصوم ، وأن كل مؤمن له حسنات وسيئات كما هو مذهب أهل السنة والجماعة ، فأبو حنيفة كسائر الناس ، له ما كسب وعليه ما اكتسب .

أما السر الذى يحكيه الكوثرى عن ابن الأثير بأمانة أو بغير أمانة ، وشككنا فى أمانته أنه لم يجرؤ أن ينقل لفظ المجد بن الأثير ، وقد عرفنا أمانة الكوثرى فى تأنيبه للخطيب وحسبك منه بهت أنس بن مالك بالخرف والامية واتهامه برواية مالم يعمله الرسول فى قتل اليهودى وقاتل الجارية الانصارية بغير بينة ، وأن أحد رواة الصحيحين أبى عوانه اليشكرى وضاع – أى كذاب . حسبك فى أمانته هذا إذا نقل نصوصاً بألفاظها ، فكيف إذا عدل عن النص إلى المعنى ؟ كيف يكون أميناً عليه عند من عرف حاله هذه ؟

هذا السر الذى يتكثر به الكوثرى أنه ما كان شطر هذه الامة من أقدم عهد إلى يومنا هذا يعبدون الله على فقه هذا الامام – يعنى أبا حنيفة – لو لم يكن لله سر خفى فى ذلك ،هذا السر الخفى عند الكوثرى ومن نقل عنه هو حصاد التتار للملايين من هؤلاء الاتباع حصد القمح والشعير ، وهذا السر هو سوم الدهريين من الروس والشيوعيين لهؤلاء الأتباع العابدين لله تعالى على مذهب هذا الامام سوم الماشية التى تقتنى للحرث والسقى والحلب والذبح هذا السر هو شيخوخة الدولة العثمانية بعد الفتوة ، حتى اندثرت وخلفتها حكومة لا دينية ، طردت وكيل المشيخة الاسلامية إلى حيث لا رجعة له ، إلى بلاد آمنت بمدنية مادية لا أثر للروح والدين فيها .

تقول اللامذهبيه التي يرميها الكوثرى بأنها قنطرة اللادينيه تقول له ولأمثاله كلمه صريحه صادقه : إن أزهر عصور الاسلام هو عصر اللامذهبيه عصر الصحابه والتابعين إذ كانت هداية الناس وبصيرتهم مقتبسه من الكتاب والسنه ؛ وإذ لم يكن هناك فيهم من يقول : الأصل كلام أصحابنا : فان كان هناك ما يعارضه من القرآن تأولناه ، وإن كان هناك حديث معارض رددناه كرد حديث أنس فى رض رأس اليهودى الذى رض رأس الانصاريه لأجل ما نقل عن أبى حنيفه (ولو ضربه بأبا قبيس) كانت خير عصور المسلمين عصر الصحابه والتابعين ، حيث لا مذاهب ترد لأجلها نصوص الكتاب والسنه .

فلما انحدر المسلمون إلى هوة التقليد وصار فيهم من يقول : الأصل كلام أصحابنا ، ونرد ما خالفه من كتاب وسنه دالت دولة المسلمين واستولى عليهم من لا يقيم للاسلام وزنا وان تظاهر به لاسكات العامه ، ثم كانت المصائب تخم بها بطن التاريخ من غزو التتار لشرق البلاد وفيهم أتباع مقتدى الامه وقدوة الأئمه ، وغزو الافرنج لشام ومصر وقبلها تنصير مسلمى الأندلس ، ثم تنفس الاسلام بحيويته الكامنه ؛ فكان طرد الفرنجه من الشام وشواطىء مصر وغزو الترك لشرق أوروبا وفتح القسطنطينيه .

ثم فترت همة الاسلام بشؤم التقليد والاعراض عن الكتاب والسنه ، حتى كان ما نراه اليوم وقبل اليوم من استيلاء الدهريه

الاوربيه على معاقل الاسلام وحصونه ودياره من الهند وأندونيسها وشواطىء أفريقيا ؛ الجزائر وتونس ومراكش وطرابلس ومصر والشام والعراق وأطراف الامبراطوريه العثمانيه وارتماء تركيا الحديثه الى أحضان أوربا ودهريتها وخلاعتها .

كل هذا وربك أيها القارىء بشؤم وترك هداية الكتاب والسنه ، وآخر الطوام خروج تركيا الفتاة وأعنى رجال حكومتها عن دين الاسلام الصحيح والمحرف . واعلانهم دهرية الحكومه وأنها لا دين لها ؛ فهل كان هذا من عواقب اللامذهبيه الذين يأخذون دينهم من كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ ، أو هو شؤم التمذهب بغير بصيرة ولبس الدين مقلوبا ، وقياس المرأة المسلمه الشافعيه التى تقول : أنا مؤمنه ان شاء الله تعالى فى حل نكاحها على اليهوديه والنصرانيه :

وجعل طول « الذكر » أو قصره من مرجحات الامامه فى الصلاة فيقدم طويل الذكر أو قصيره اماما على من ليس كذلك ، وأخيرا : ان الاصل كلام أصحابنا ، وهل الدين الا الرأى الحسن ؟ وما خالفه من كتاب أولناه ، ومن سنه رددناه كرد حديث أنس فى قتل قاتل الجاريه بما قتل به أنه من تخريف أنس الذى شاخ وخرف فروى لنا قتل النبي ليهودى بلا بينة ولا اعتراف ورواية الاعتراف يرويها قتاده المدلس ، الذى لم يعرف البخارى تدليسه ، وعرفه أذكياء ولو ضربه بأبا قبيس ، وهل الدين الا الرأى الحسن ؟ وفى

أصحابى من يبول قلتين لتقدير حديث اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث ، واذا كانوا فى سفينه كيف يتفرقون لرد حديث البيعان بالخيار مالم يتفرقا و . و . . وأن القرآن الذى نسمعه ليس الا صوت القارىء ونغمه ليس هو كلام الله فليس لله كلام بيننا ! ! وانما هى أصوات محدثه ليس من الله بدأ ولا اليه يعود وان ايمان السكير العربيد مثل ايمان جبريل وميكائيل ومحمد وأبي بكر وعمر . . الخ .

كل هذا وأضعافه كان سبب ضعف الاسلام ؛ وزوال دوله وقوته وعزته ، وتحكم الكفار فى مصائر أهله ، وسومهم سوء العذاب .

وليس بين المسلمين اليوم الى يوم القيامه وبين العز والسؤدد ومزاحمة ركب الحياة سوى التوجه الى كتاب ربهم وسنة نبيه ﷺ والاهتداء بهما والعلاج بأدويتهما فى تصحيح ما فسد من عقائدهم وأعمالهم وأخلاقهم ودينهم ودنياهم بلا تقيد بأحد معين كائناً من كان ، سوى التقيد برواية الثقات منهم وايضاح ما أبهم مما أثر من علم الصحابه والتابعين وتابعيهم باحسان .

وقد حفظ الله القرآن فضلا منه ، واعذارا بنصه وحروفه وكلماته ومعناه ، وقيض لما فسره من السنه النبويه من باعوا أنفسهم لله تعالى فى تدوينها وتمحيصها وتهذيبها وتبويبها وتقريبها للتناول ، وما على الناس الا الاهتداء والعمل والاقتداء واليقظه

بعد طول المنام والغفلة والجهالة ، أخذ الله بأيدينا وقلوبنا وأسماعنا وأبصارنا إلى سلوك الصراط المستقيم آمين .

(٩) يعجب الكوثرى عجبا يبرر به جرح رواة حكاية الخراسانى الذى جاء إلى أبى حنيفة ليسأله عن مائة الف مسألة كما زعم ، وقول أبى حنيفة له هاتها ، ويقول : إنها أسطورة ومخالفة للمعقول ونقول معه إنها كذلك ، ولكن المسئول عن مجازفتها ومخالفتها للمعقول وأسطوريتها هو الخراسانى قائلها وأبو حنيفة مستعملها لا ابن عيينة راويها ولا من رواها عن ابن عيينة

وفرعون عندما قال لهامان : إبن لى صرحا لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه كاذبا ، كان السخف فى قوله وتصوره وعقله لا فيمن حكى هذا السخف وذلك المراء عنه ، فالمسئول عن سخف السؤال عن مائة الف مسألة : هو الخراسانى السائل والمستمع المتهيء للاجابة ، فالانصاف تحميل كل مسئول مسؤوليته عن عمله ، لا تبرئة المجرم وتحميل جرمه للبرىء .

ولو كنا نكذب الرواة الذين يروون جزاف المجازفين وحماقة الحمقى وإغراب المغربين ، لما صح لنا شيء عن مجازف ولا أحمق ولا مجنون ولا دونت الغرائب والعجائب . كذلك حكاية كتابة ابن أبى ليلى إلى أبى جعفر المنصور الخليفة العباسى ، حينما كان أبو جعفر بالمدينة بشهادة حماد ابن أبى سليمان عنده على

قول أبي حنيفة بخلق القرآن ، وأن أبا جعفر أمر بضرب عنقه إن شهد عليه آخر مع حماد ، يحاول الكوثري ردها بما جاء فيها أن أبا جعفر كان بالمدينة ، فنسج له خياله أن ذلك كان في أيام هشام بن عبد الملك في العصر الأموي قبل أن تولد الدولة العباسية بزمن ليس باليسير ، وقبل أن يُعرف أبو جعفر ؛ فإن كان في الدنيا عجب عجاب فهذا ، وذج منه ، وإن كان في الدنيا قلب الحقائق وإنكار الشمس في ضحى النهار ، فهاك مثالا له ، كأن أبا جعفر المنصور العباسي لم يدخل المدينة ولا وطئها قدماه أيام خلافته لا في حج ولا زيارة ولا غيرها ، ولا عرف المدينة إلا في عهد هشام كما تخيله الكوثري ، وكأن ابن أبي ليلى قاضي الكوفة بلغ من البلاهة وهو القاضي الذي يعرف من يكتب اليه ومن بيده تنفيذ ما يكتب ، فيكتب إلى رجل مدسوس مغمور لا يملك من سلطة المسلمين والحكم فيهم قطمير ولا نقير؛ يكتب من الكوفة التي هو قاض فيها ، متعديا عامل الكوفة وأميرها ومتعديا ملك المسلمين وخليفتهم حيث هو إلى رجل ليس له من الأمر شيء هو أبو جعفر المنصور في عصر هشام بن عبد الملك الأموي ، ربما كان فتى يطلب العلم ليس بيده من السلطة ولا سلطة شرطي فيكتب اليه قاضي الكوفة في مسألة استتابة فيها ضرب عنق ! يالهذر ويا للحشة والافينة !

ثم يتصور الكوثري جواب أبي جعفر المنصور حينئذ الذي ليس بيده

من الحكم تقليم ظفر أن يكتب إلى قاضي الكوفة بضرب عنق من قال بخلق القرآن ، كأن القاضي ورواة الحكاية بلغوا من الجنون والهذيان ما يرثى لهم ، كل هذه المضحكات المخزيات المبكيات يولدها الكوثري من لفظة (بالمدينه) التي جاءت في الحكاية ليسوغ له رمي رواة الحكاية بالحمق الذي يتندر به ويماجن المجان به ، أن يرووا حكاية أبطالها ومسرحهم وفصولهم لا تكون الا في العصر العباسي ، فيروونها في العصر الأموي ، عصر هشام بن عبد الملك جهلا منهم بألف باء التاريخ والواقع ، من أجل أن الراوي روى فيها : أن القاضي قاضي الكوفة كتب الى أبي جعفر المنصور العباسي الخليفه بالمدينه ، فيحلل المحقق الكوثري من كلمة (بالمدينه) أن يكون ذلك في عهد هشام بن عبد الملك الاموي في العصر الاموي قبل أن تولد الدولة العباسيه ، وقبل أن يعرف أحد الخليفه العباسي أبا جعفر المنصور بالخلافه أو الملك وأخيرا : مالنا ولمناقشة هذه الهزليه المسرحيه حسب تصوير خيال الكوثري لها ، وانما نريد أن نسأله عما جاء في كتاب الابانه لأبي الحسن الاشعري من روايته عن حماد بن أبي سليمان لما بلغه قول أبي حنيفه بخلق القرآن : أبلغ أبا حنيفة المشرك اني بريء من دينه (أو ما هذا معناه)

نريد تأنيباً جديداً للاشعري نسمع منه طرائف علم الكوثري فلعله يفتح له بابا من الرزق فضب منه معين تأنيب الخطيب ،

ولعلنا نسمع فيه نذالة الاشعرى وبهتانه وحسده لأبى حنيفه من أجل حرمانه من القضاء الذى فاز به الحنفيون وتحسر عليه أهل الورع والتقوى من رواة الاخبار ، التى جاءت فى بيان حال أبى حنيفة ، فحملهم الحسد أن يقولوا فى أبى حنيفة ما ليس فيه ، وعندما يخرج لنا تأنيب الاشعرى نذكر له ما جاء عن ابي حنيفة فى كتاب مشكل الحديث لابن قتيبة ليخرج لنا تأنيبا ثالثا لابن قتيبة ، ثم ما جاء فى تواريخ البخارى الثلاثة والضعفاء له والضعفاء والمتروكين للنسائى ، وتاريخ ابن أبى خيثمة والساجى والخلال وما جاء فى كتاب الحج للترمذى فى باب اشعار الابل ، وما جاء فى المحلى لابن حزم فى كتاب الحج وغيره ؛ وما جاء فى الانتقاء لابن عبد البر وغيرها وغيرها ، لنسمع طرائف من العلم ما كنا لنسمعها ، لو لم نثر هذا الكاتب المدعى ونهيجه بنقل ما سجله التاريخ من كلام معاصرى أبى حنيفة فيه ، والحكم بينهم هو الله يوم القيامة .

وأن عودة الكوثرى إلى رمى المؤمنين بالله وبما جاء من صفاته فى القرآن والسنة ، أنهم يحددون لله ويصفونه بالجلوس والمس والحركة ، وتجويز استوائه على ظهر بعوضة ، إلى آخر ما هذى به . سبق الكلام على هذا البهتان وأجبنا عن ذلك الهراء ودعوناه إلى المباهلة ليحكم الله بيننا وبينه اننا نؤمن بالله على الوجه الذى أخبر به عن نفسه وأخبر به رسوله ﷺ ، مع

التنزيه ونفى التشبيه ، ولا تلزمنا لوازم النفاة الجعدية الجهمية المريسية ، ونقول لمن يلزمنا إياها : سبحانك هذا بهتان عظيم .

فان شاء أن يباهل على ذلك ، باهلته أنا أمام بيت الله تعالى وقت السحر وليتخير له ما شاء من ضريح أو معبد أو وثن أو مشهد وكفى بالله شهيدا ، ونمر على ما وصف به خيار خلق الله ، الذين يؤمنون بصفات الله تعالى كما أخبر بها بأنهم أهل الضلال الأغبياء والطغام ، نمر على ذلك مر الكرام ، وكذلك ما وصف به الكوثرى الخطيب لروايته ما جاء عن الأولين فى تاريخه عن أبى حنيفة بأنه سخيف من سخفاء الرواة ، ونعرض عن تناقضه إذا أراد تكذيب هشام بن عروة ، فحينئذ يكون الحطابئة ثقة معتمدا عنده ، ولسنا نعجب أن يكون الحاكم عند الكوثرى بالغ التخليط من أجل أنه روى فى مستدركه الذى قيل انه كان مسودة لم يبض فوقع فيه عدة أحاديث قابلة للتمحيص لو أمهلته المنية لأعاد النظر فيه ، والعلماء قبلوا الحاكم عالماً وراويا وناقداً للرجال ، ونقلوا أقواله فى ذلك واعتمدوه . إلا عند الكوثرى فى القرن الرابع عشر لمقله ما قيل فى أبى حنيفة .

وقبول الذهبى لتوثيق الحاكم لا قيمة له عند الكوثرى لأنه الذهبى عند الكوثرى كالببغاء ردد قول الحاكم وتابعه بلا فحص مباشر ، فلا يكون كلامه من كلام أهل الشأن المعاصرين للراوى فليسقط توثيق الحاكم وتوثيق الذهبي معه ، لأن الكوثرى

أسقطها ولأنها لرجل روى ما سجله التاريخ عن رجال عرفه أهل عصره، وجاء الغلاة فقالوا فيه إمام الأئمة والامام الاعظم وفقيه الامة الاوحد الخ. وعندما يحتاج الكوثرى الى اتهام هشام بن عروة أحد رجال الكتب الستة، بنقل لا يصح عن مالك يعتمد الخطيب وينقل عنه تلك الفرية، وأعاد الكوثرى رمى أهل السنة من الصحابة والتابعين الذين يقولون إن الايمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، لانهم لم يقولوا إن ايمان السكير العربيد قاطع الطرق كايمان جبريل وميكائيل ومحمد وأبى بكر وعمر، فعاد يرميهم بالانحياز إلى طوائف الاعتزال والخوارج، شاعرين أو غير شاعرين.

فنؤكد للكوثرى أن هؤلاء الأئمة، من الصحابة والتابعين وتابعيهم أعرف بالايمان وبكتاب الله تعالى وبالصراط المستقيم وطريق السنة والجماعة، وبما خالف ذلك من طرق الاعتزال والخروج، أعرف بذلك منه ومن إمامه ومن سائر المرجئة والجهميه والجمديه والمريسيه، فليطمئن خاطرا أو ليتحرق بما شاء من حطب الغيظ والحقد، وليتبزم بما شاء له الهوى من ألقاب الضلال والحشو والغباء الخ ما منحهم به مما جاد به عليهم من أدبه ونزاهته.

ولو كنت أعلم أن ما هلفت به على طليعة الاستاذ اليمانى أنه سيرميني بالنذالة والبهت التى يكذب فيها امامى بالمسجد الحرام

أمام بيت الله الكعبه المشرفه بألوف المسلمين حجاج ومجاورين بلد الله ولكن.

إذا رضيت عنى كرام عشيرتى فلا زال غضبانا علىّ لئامها

لو كنت أعلم أنه سيرميني بالنذالة والبهت، وأنه سيرميني ويرمى خيار خلق الله من أتباع سلف الامة أهل السنة والجماعة الذين يؤمنون بما وصف الله به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تشبيه ولا تمثيل مع التنزيه التام- بأنهم الضلال الطغام الأغبياء، أقول لو كنت أعلم ذلك ولو استقبلت من أمرى ما استدبرت لتركته يحترق فى غيظه ويتفتت من حنقه وحقده من خيار خلق الله تعالى، وكنت التزمت النهى فى قول الله تعالى (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله، فيسبوا الله عدوا بغير علم، كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون)

وأخيرا فليبهتنى بما شاء من ألقاب النذالة؛ وليبهت الخطيب بما أحب من تسخيف وتكذيب؛ والحاكم بما شاء من تخليط، والذهبي بما شاء من تقليد أعمى ومتابعة بغير فهم ولا بصيرة؛ وأبا نعيم والبيهقى وأبا الشيخ بالتعصب وعدم الوثوق بهم وأهل السنه الذين يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ وأهل السنه الذين يؤمنون بزيادة الايمان ونقصه بسبب الطاعات والمعاصى اتباعا لنصوص الكتاب والسنة، ولا يقولون إن إيمانه

السكير المربد ، كإيمان جبريل وميكائيل ومحمد وأبي بكر ، فليرم كل هؤلاء بالضلال والغباء والحشو والطغامية ، حتى يبرد قلبه من النار التي أحرقته لبيان حال امامه وما قاله فيه معاصروه . فمن بعدهم يبلغ علمهم واجتهادهم الذي يؤجرون عليه ولو أخطؤوا وفسوق الهه بشرى أمل يكتب على رجائها تأنيبا آخر لحافظ الأندلس فيما قاله من نفسه أو أثره عن غيره مما لا ينقص عما نقله الخطيب إن لم يزد عليه ، فترى ماذا يتحف ابن عبد البر به من سباب وشتم وتجريح ثم قد تنادى بأمداده بأسباب رزق له بما ينقل عن البخاري في تواريخه الثلاثة وضعفائه ؛ وعن النسائي وعن الترمذي وعن كتاب الوتر لمحمد بن نصر المروزي ، وعن كتاب مشكل الحديث لابن قتيبه والضعفاء والمتروكين لابن الجارود ممن ترجموا امامه وبينوا حاله ، فإن رمانا بعداوة إمامه تمثلنا له بالمثل المشهور : عدو عاقل خير من محب جاهل ، فيكون عليه وحده تبعات ما أوجب صنيعه من اثارة مدفونات الدفائن ودخائل الآثار وما صرح به علماء الجرح والتعديل الذي لا تأخذهم في الله لومة لائم فقالوا ونصحوا وبينوا وكتبوا ما حفظه عنهم التاريخ وما كنا نحب أن تثار لولا غلوه الجاهل وحبه الأحمق وجنونه على حد تعبير بعضهم فيه ، وإن كانت المسألة لا تعدو عند من دقق أن تكون مورد ارتزاق لمن أغلقت في وجهه سبل العيش المعتاد الهنى الرغد .

يتمدح الكوثرى بما نقل عن ابن رجب أن مذهب أبى حنيفة رد الزائد إلى الناقص فى الحديث متنا وسندا ، وأن ذلك احتياط بالغ فى دين الله ، ويصور ذلك بأن يرد سندان أحدهما يذكر راو والثانى بحذفه ، فيعتمد الحذف ويجعل الخبر منقطعا ويطرحه ، ولم يقدر الكوثرى أن يبين وجه بناء مذهبه على المرسل والمقطوع ، وفر عن ذلك فرار الجبان من مواجهة رماح الشجعان .

ولا أدرى ماهى الزيادة أو النقص متنا وسندا فى حديث أم سلمة فى الصحيح عن النبى ﷺ : « وانكم تختصمون إلىّ فاحكم بينكم بنحو مما أسمع ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له بحق أخيه ، فمن قضيت له بحق أخيه فانما هى قطعة من النار فليأخذ أو ليدع » أو كما قال ﷺ : فأخذ العلماء من ذلك أن حكم القاضى لا يحلل الحرام ولا يحرم الحلال ، وأما صاحب العقليه الجبارة والرأى الحسن ، فرأى حكم القاضى يحل الحرام ويحرم الحلال ، وأجاز لمن شهد زورا بطلاق امرأة وأثبت القاضى طلاقها بهذه الشهادة الزور أن يتزوجها ذلك الشاهد زورا ونحل له ليجمع عند الله بين شهادة الزور فى طلاق من لم يطلق وينكح الفرج الحرام الذى حلله بشهادته الزور ، وهذا من الاحتياط البالغ عند صاحب العقليه الجبارة والرأى الحسن فى الدين ، ولا أدرى ماهى الزيادة والنقص متنا وسندا فى حديث

جعله ﷺ للفارس ثلاثة أسهم من الغنيمه ، وللراجل سهم حتى رده صاحب العقليه الجبارة ، والاحتياط البالغ للدين بقوله : لا أفضل بهيمة على رجل مسلم - والعلماء يعلمون أن ذلك ليس من باب تفضيل البهيمة على الرجل المسلم ، وإنما ذلك من تفضيل مسلم صاحب فرس أنفق عليها وأبلى بها بلاء حسنا فى الجهاد على رجل راجل ليس معه هذه الفرس ولا له هذا البلاء ، فلذلك أعطى الفارس بسبب فرسه لنفقته عليها وبلائه بها ثلاثة أسهم ، فزيد سهمين على الراجل الذى لا فرس له ، وهذا عدل جاء به الشرع وتشهد له الفطرة إلا عند صاحب العقلية الجبارة ، ولا أدرى ما الزيادة أو النقص فى السند أو المتن ، فى حديث سهل بن سعد الساعدى فى تزويج النبى ﷺ رجلا بامرأة على مامعه من القرآن فرده صاحب العقلية الجبارة باشتراط أن يكون الصداق ربع دينار فأكثر، قياسا لحل الفروج على قطع اليد فى السرقة ؛ فأين البصرة من الدار البيضاء ؟ ولا أدرى ماهو القرآن أو الاجماع الذى دل على حديث نقض الوضوء بالقهقهة فى الصلاة ، وحديث نقض الوضوء بالقىء والرعاف الخ ، وليست القهقهة فى الصلاة بأفحش من قذف المحصنات الغافلات فى الصلاة وهم لا ينقضون به الوضوء ، فأين القياس والعقليه الجبارة والرأى الحسن ؟

(١٠) أسرف الكوثرى فى جرح رجال أسانيد الخطيب الذين روى عنهم ماقيل فى مثالب أبى حنيفة ، واعتذر فى ترجيبه

بتأنيبه بأن روايتهم ساقطة بنفسها ، لأنها تنافى ما زعمه من التواتر على رفع إمامه أبى حنيفة إلى مستوى لا يؤخذ عليه شىء ولا يناله خطأ ولا يتطرق إلى عصمته مساس ، وهو الذى رمى أنس بن مالك خادم النبي ﷺ بالخرف والامية والكذب على الرسول فى قتل قاتل الجارية الانصارية بغير بينة بزعمه ولا إقرار سوى رواية قتادة بزعمه المتهم عنده بتدليسه لرواية الاعتراف لأن إمامه قرر برأيه الحسن — وهل الدين إلا الرأى الحسن ؟ — إن القصـــاص لا يكون إلا بالسيف ولو ضربه بأبا قبيس ، وجعل ذلك من باب التخيير بين أقوال الصحابة ، وإن كانت المسألة ليست من باب التخيير بين الأقوال ، وإنما هى رد صريح لرواية صحابى من أجل رأى حسن أو قبيح لمن يزعم أن الدين إنما هو الرأى الحسن ، فاذا سألناه من هو الصحابى الآخر الذى رد إمامه رواية أنس بن مالك لأجل قوله أو روايته ، فانا ننظر الجواب لنعرف العذر من رمى أنس بالخرف واختلاق الروايه وأن أبا حنيفه رد روايته لرواية صحابى آخر فيكون تخيرا ، ولا فعيد لمز الشافعى بالخلاف فى قرشيته وتبطىء عمله الذى لا يسرع به نسبه ، ومالك بخلوه إلا من سكنى المدينه فى وقت لا فضل فيه لسكناها ، وأحمد بن حنبل بعدم تمحيص الروايه وعدم الغوص فيها وإن كثرت رواياته إلخ .

فهذا التواتر الذى زعم به إمامه فوق متناول النقد ، وفوق

درجات العصمه ، وأنه أوحد الأمه وقدوة الأئمه ، هذا التواتر هل كان يعرفه من أرخ أبا حنيفه ؟ كالبخارى فى تواريخه الثلاثة وضعفائه ومحمد بن نصر المروزى فى كتابه قيام الليل والوتر ، وابن قتيبة فى مشكل الحديث له . والترمذى فى جامعه فى باب الأشعار ، والنسائى فى ضعفائه ومتروكيه ، وابن الجارود فى ضعفائه ومتروكيه ، والغزالى فى منخول أو مستصفاه إلى ابن عبد البر فى انتقائه .

ويتهم الكوثرى الشيخ اليمانى صاحب التنكيل بعداوته لأبى حنيفه من أجل تكلمه على مغالطات الكوثرى فى تأنيبه ، وبيان تلبيساته فى هذا الكتاب ، وفات الكوثرى أنه إن صحت تهمته الشيخ اليمانى بهذه العداوة ، فهى من باب عدو عاقل وهو خير من صديق جاهل وحذف الشيخ اليمانى متون أسانيد الخطيب عند كلامه على رجالها هو من باب العقل والحزم ، وترك الحكم الفصل فى ذلك لعلام الغيوب ، الذى يأجر مجتهدهم وإن أخطأ أجراً واحداً ومصيبهم أجرين ، فان كلام معاصرى أبى حنيفة فيه ليس بأكثر ولا أشد مما جرى بين الصحابه رضى الله عنهم من خلاف أدى إلى القتال بينهم ، ومع هذا نعتقد أنهم جميعا مجتهدون : إما مصيبون فلهم أجران أو بعضهم مخطىء مع الاجتهاد فله أجر ، ولسنا فى كل وقت وبدون حاجه ضروريه إلى ذكر اختلافهم نذكره ، وإن ذكرناه لم نغفل عن فضلهم وحسن بلائهم فى الاسلام

وعذرهم فيما نظن أنهم أخطئوا فيه .
فكذلك مخالفوا أبي حنيفه وجارحوه والطاعنون عليه على حد تعبير ابن عبد البر ، هكذا يرى الشيخ اليماني ما جرى بين معاصرى أبي حنيفة من الكلام فيه بسبب ما علموه عنه أنهم فى ذلك مجتهدون فى النصح للاسلام إن أصابوا فلهم أجران ؛ وإن أخطأوا فلهم أجر الاجتهاد ، ويرفع عنهم وزر الخطأ ، لذلك كف عن ذكر المنقول عنهم فى ذلك ، لهذا ولعلمه بما جاء فى الحديث الصحيح الذى فيه أن الله يجمع المؤمنين على قنطرة على الصراط قبل دخول الجنة ، ويصفى ما بينهم من خلاف وتبعات يتبعها العفو والتسامح والصفا ، ولا يدخلون الجنة إلا وقد نقوا وهذبوا مما كان بينهم ، لذلك سكت الشيخ اليماني عن ذكر ما كان من معاصرى أبي حنيفة من طعن أو جرح ، فان كان الامام سفيان الثورى قد قال فى أبي حنيفه انه ضال مضل ، لما بلغه عنه من القول بخلق القرآن الذى يدافع الكوثرى عنه فيه ، اخترعه من فلسفة دال ومدلول وحقيقه ومجاز مما يخرج منه أنه ليس لله تعالى بيننا كلام نسمعه من القارىء أو نقرؤه فى المصحف ، وإنما ذلك دال ومجاز عن كلام الله تعالى ، فاذا كان الثورى لم يفهم هذه الفلسفه واشتد كلامه فى أبي حنيفه مجتهدا فى ذلك ، أصاب أو أخطأ ، فهو مأجور على كلا الحالين ، والموعد عند الله يوم القيامه وعلى قنطرة الصفاء قبل دخول الجنه يصفى ما بينهما ، واليمانى

أحسن كل الاحسان بالسكوت عن تلك المتون التى هزت أعصاب الكوثرى ، فلم يشأ أن يهزها مرارا وتكرارا ، أو يهز أعصاب غيره بلا داع .

فاذا أراد محب أبى حنيفه ولا أقول مجنونه على حد تعبير بعضهم — أن نذكر له هذه المتون . فسأذكرها له لا من تاريخ الخطيب بل من لا انتقاء لحافظ المغرب ومحدث الأندلس أبى عمر ابن عبد البر رحمه الله تعالى .

وليخلع علىّ الكوثرى ما شاء من ألقاب النذالة والبهت فى كتاب يعرضه فى سوق الوراقين ويجود عليه بنفقات طبعه بعض أهل السخاء ويكون لى من وراء ذلك ربح صرف الكوثرى عن الخوض فى أعراض خيار خلق الله تعالى .

أما ما سيفيضه علىّ الكوثرى من سباب وشتائم فهى رخيصة عندى فى مقابل ما أربحه من صرفه عن هذه الأعراض الطيبة وأكتفى بمعرفة من يصلى ورائى مقتدين بى فى المسجد الحرام جمعة وعيداً وجماعة ومعرفة من يخالطنى فى دروسى وأحوالى . يكفينى ذلك كله ولا أحتاج أن أقول مع ذلك متمثلا بقول الأول:

وإذا أتتك مذمتى من ناقص ‏ ‏ ‏ ‏ فهى الشهادة لى بأنى كامل

وأتمثل بقول الآخر :

إذا رضيت عنى كرام عشيرتى ‏ ‏ ‏ ‏ فلا زال غضباناً علىّ لئامها

وسأشرع فى نقل ما أريد نقله من كتاب ابن عبد البر

للغرض الذى شرحت آنفاً، مع إيماني بأن ما جرى من معاصرى أبي حنيفه ومنه ليس بأشد مما جرى بين الصحابة والكل مؤمنون وخلافهم عن اجتهاد يؤجر فيه المصيب أجرين والمخطىء أجراً واحداً إن شاء الله تعالى. ولا نكابر كالكوثرى فندعى تواتراً لا واقع له ليكذب به الواقع الذى كاد يتواتر.

قال ابن عبد البر حافظ المغرب: ونبدأ بما طعن عليه لرده بما أصله لنفسه فى الفقه. ورد بذلك أخبار الآحاد الثقات إذا لم يكن فى كتاب الله تعالى وما أجمعت الأمة عليه دليل على ذلك الخبر، وسماه الخبر الشاذ وطرحه، وكان مع ذلك لا يرى الطاعات وأعمال البر من الايمان، فعابه بذلك أهل الحديث اه

فهذا كلام ابن عبد البر فى أبى حنيفه، ورأيه فيه أنه ردّ أخبار الثقات بما أصله لنفسه لا تابعاً فى ذلك لأحد من السلف فى اشتراط دلالة الكتاب والاجماع ولا مستنداً فى هذا الرد إلى معارضة كتاب أو صحيح من السنة أو إجماع إلخ. أقول معارضة ولا أقول باشتراط دليل من الكتاب لما يقبله من أخبار الثقات فيطرح منها بزعمه ما لا دليل عليه بفهمه ويسميه شاذاً، فمن ذا الذى شرط فى خبر الثقات هذا الشرط الباطل من سلف الامة وأئمتها سوى أبى حنيفه فيما يقبله ويرفضه.

وياليت شعرى هل كان أبو حنيفه أعلم وأهدى من أهل قباء من الصحابة الذين تحولوا فى صلاتهم عن قبلة كانوا عليها متيقنين

بها لما أخبرهم مخبر ثقة أنه صلى مع رسول الله إلى الكعبة ، فتحولوا كما هم . ولا أدرى هل كان عمال الزكاة الذين يذهبون لجبايتها وجمعها من سائر القبائل معهم اجماع أو دلالة من كتاب الله على أنهم رُسل رسول الله ﷺ إليهم لأخذ زكاة أموالهم ومن امتنع منهم من أدائها إليهم كان يرسل إليه النبى ﷺ من يؤدبه ويخضعه لأدائها وإلا قاتله . فأين الكتاب والاجماع الذى مع هؤلاء العمال سوى صدقهم وأمانتهم ، وعامله بخيبر لما بعث إليه النبى ﷺ من يتسلم منه شيئاً من التمر بأمارة يعرفها الوكيل فلم يحتج مع هذا إلى دلالة كتاب أو اجماع وهكذا رسل رسول الله إلى القبائل والملوك هرقل وكسرى والمقوقس والنجاشى ، يذهب إليهم رسول واحد معه رسالة رسول الله ﷺ ويلقيها إليه من غير دلالة من كتاب ولا إجماع ، تشهد له أنه رسول رسول الله ﷺ سوى صدقه وثقته إلخ ما طفحت به السنة والسيرة وعمل الصحابة والتابعين ، فتبين من هذا أنه أصل له أصلا انفرد به عن سائر المسلمين . فلماذا ؟ ألا يغضب الثورى وابن عيينه ومالك من ذلك وحق لهم أن يغضبوا . وأما عدم جعله الطاعات وأعمال البر من الايمان فالذين جعلوها من الايمان أفقه بمعرفة نصوص الكتاب والسنة من أبى حنيفة خصوصاً وهم صحابة رسول الله ﷺ وتابعوهم باحسان وأعرف الناس بدينهم كمالك والثورى وابن عيينه والشافعى وأحمد ومن سلك سبيلهم ، وهم أبعد الناس عن الاعتزال

والخروج والحرورية عن بينة وعلم وبصيرة، فليسوا منحازين إلى الاعتزال ولا الخروج والحرورية كما رماهم بذلك محب أبي حنيفه أو مجنونه انهم اذا جعلوا العمل من الايمان كانوا منحازين إلى الاعتزال والخروج شاعرين أو غير شاعرين .

وكذب مجنون أبي حنيفه وافترى ، فما منهم منحاز إلى الاعتزال والخوارج وإنما قالوا ما قالوا اتباعاً للكتاب والسنة والفطرة السليمة والعقل من أن إيمان السكير العربيد لا يمكن أن يكون كايمان جبريل وميكائيل إلخ . ولا ان ايمان آخر من يخرج من النار يكون كايمان الرسل وأولى العزم ، حاشا ذا عقل أن يقول بهذا

قال ابن عبد البر : كثير من أهل الحديث استجازوا الطعن على أبي حنيفه لرده كثيراً من أخبار الآحاد العدول لأنه كان يذهب في ذلك إلى عرضها على ما اجتمع عليه ويقول الطاعات من الصلاة وغيرها لا تسمى إيماناً وكل من قال من أهل السنة : الايمان قول وعمل ينكرون قوله ويبدعونه بذلك وكان مع ذلك محسوداً لفهمه وفطنته اه .

(قلت) وليست الفطنة والفهم مما يبدع بهما صاحبهما عند أهل السنة إذا جرى صاحبهما على قواعد السنة ،ولم يشذ عن جادة الصواب من الكتاب والسنة . فترى أن ابن عبد البر أثبت تبديع أهل السنة لأبي حنيفة وانكارهم لقوله ،وأما قوله : إنه كان مع ذلك

محسوداً ، فنرجيء معرفة أشخاص الحاسدين له إلى أن نلقى ابن عبد البر يوم القيامة فنسأله من هم ؟ هل هم مالك والثوري وابن عيينه والشافعي وأحمد والبخاري أو من هم ؟ .

قال ابن عبد البر : ونذكر في هذا الكتاب من ذمه والثناء عليه مايقف فيه الناظر على حاله . عصمنا الله وكفانا شر الحاسدين آمين رب العالمين (نقول معك آمين رب العالمين)

قال فمن طعن عليه وجرحه أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري فقال في كتابه في الضعفاء والمتروكين : أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي . قال نعيم بن حماد نا يحيى بن سعيد ومعاذ بن معاذ سمعا سفيان الثوري قال استتيب أبو حنيفة من الكفر مرتين . وقال نعيم الفزاري كنت عند سفيان بن عيينه فجاء نعي أبي حنيفة ، فقال : لعنه الله إن كان (كاد) يهدم الاسلام عروة عروة وما ولد في الاسلام مولود شر منه . هذا ما ذكره البخاري اه كلام ابن عبد البر .

وليتحفنا الكوثري بعدّه الثوري وابن عيينه ويحيى القطان ومعاذ العنبري ونعيم بن حماد والبخاري وابن عبد البر في عداد الحاسدين لأبي حنيفة ، أما نحن فنصبر إلى أن يجمعهم الله يوم القيامة على قنطرة القصاص فيقتص لمظلومهم من ظالمه وأما في الدنيا فنقول رحم الله الجميع وتجاوز عن سيئاتهم وأخطائهم (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين

آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم) ونقول (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ولا تسئلون عما كانوا يعملون) .

وقال ابن عبد البر وقد نقل عن مالك رحمه الله تعالى أنه قال فى أبى حنيفة نحو ما ذكر عن سفيان أنه شر مولود فى الاسلام وأنه لو خرج على هذه الأمة بالسيف كان أهون . قال ابن عبد البر : وروى عنه (أى عن مالك) أنه سئل عن قول عمر : بالعراق الداء العضال فقال : أبو حنيفة .

قال ابن عبد البر روى ذلك كله عن مالك أهل الحديث وأما أصحاب مالك من أهل الرأى فلم يرووا من ذلك شيئاً عن مالك اه .

وابن عبد البر يعلم أن سكوت الساكت ليس حجة على رواية الراوى وأن أهل الحديث من أصحاب مالك كابن وهب ويحيى ابن يحيى النيسابورى والقعنبي والتنيسى ويحيى القطان وغيرهم من رجال الكتب الستة الذين رووا عن مالك هم أوثق من أصحاب الرأى من أصحابه فكيف سكت أهل الرأى ولم يخالفوا المحدثين إلا بسكوتهم ؟

قال ابن عبد البر وقال الجارود فى كتابه فى الضعفاء والمتروكين : النعمان بن ثابت أبو حنيفة : جل حديثه وهم وقد اختلفت فى إسلامه . قال ابن عبد البر وهذا ومثله لا يخفى على من أحسن النظر والتأمل ما فيه .

أقول : نعم التشكك فى اسلام رجل من أهل القبلة ليس من قواعد الاسلام . فلنا ظاهر أهل القبلة وباطنهم الى الله وننكر ما يخالف الصراط السوى منهم ونبين وجه الدين والسنة لمن خالفها ولا نقول فيه انه الامام الأعظم ، ولا أنه قدوة الأئمة ، ومقتدى الأمة ولم ينتفع بأحد ما انتفع به إلخ هـذا الغلو السمج .

ونعتبر بما قال ابن الجارود ان جل حديثه وهم فلم يكن له من معرفة صحيح الحديث ما يرد به الزائد الى الناقص ويتحكم فى صحاح الأحاديث بالرد بدعوى عدم دليل عليها من الكتاب والسنة كما زعمه له الزاعمون .

قال ابن عبد البر بسنده الى أحمد بن حنبل عن عبد الرحمن ابن مهدى سألت سفيان ، يعنى الثورى عن حديث عاصم فى المرتدة فقال أما عن ثقة فلا . قال ابن أبى خيثمة وكان أبو حنيفة يروى حديث المرتدة عن عاصم الأحول اه . ولا يحضرنى الآن هذا الحديث فمن عرفه فليتحفكم به مشكورا !

وبسنده الى وكيع قال سمعت أبا حنيفة قال سمعت عطاء إن كان سمعه ـ فدعوى أبى حنيفة السماع من عطاء موضع شك عند وكيع ، فليستح من ادعى له سماع ثلاثين من الصحابة ـ من هذه المهاترة .

قال ابن عبد البر وذكر الساجى فى كتاب العلل أنه ـ يعنى

أبا حنيفة - فى خلق القرآن فتاب ، والساجى كان ينافس أصحاب أبى حنيفه .

(أقول) والعتب عليك ياابن عبد البر ان كنت ترى منافسته لهم تحمله على الكذب على إمامهم ، ثم تملأ كتابك بالنقل عنه ، أو لعلك أردت بذلك تأشيرة المرور فقط عند مجانين أبى حنيفه ، قال ابن عبد البر وذكر الساجى عن أبى السائب عن وكيع ابن الجراح قال : وجدت أبا حنيفه خالف مائتى حديث عن رسول الله ﷺ ، (قلت) لعله خالفها إلى الرأى الحسن وهل الدين إلا الرأى الحسن ؟ وبما أصله من عرضها على الكتاب والاجماع ، وان شذ بذلك عن صراط الصحابة والتابعين .

ومن طريق الساجى عن محمد بن نوح المدائنى عن معلى بن أسد قلت لابن المبارك : كان الناس يقولون انك تذهب إلى قول أبى حنيفه ، قال : ليس كل ما يقول الناس يصيبون فيه ، قد كنا نأتيه زمانا ونحن لا نعرفه ، فلما عرفناه تركناه . (قلت) فهذا ابن المبارك شيخ شيوخ الجماعة البخارى ترك أبا حنيفه بعد معرفته به ، وبسند ابن عبد البر إلى أحمد بن زهير : كان أبى يقرأ علينا فى أصل كتابه حديث أهل الكوفه ، وإذا مر بأحاديث عن أبى حنيفة لم يقرأها علينا ، فهذا زهير ابن معاويه شيخ شيوخ الجماعة يترك أبا حنيفه وأحاديثه ، لماذا ؟ وبسند ابن عبد البر إلى سفيان بن عيينه قال : كان أبو حنيفه يضرب

بحديث رسول الله ﷺ الأمثال نيرده بعلمه ، حدثه عن رسول الله ﷺ « البيعان بالخيار »

فقال أبو حنيفه : أرأيتم إن كانوا فى سفينه كيف يفترقون؟ هل سمعتم بشر من هذا ؟ اه والحديث بالتثنية. والمثل المضروب لرده بالجمع ، ولا بأس بذلك عند من يقول ولو ضربه بأبا قبيس (قلت) ولمن يدافع عن حديث رسول الله ﷺ أن يقول افتراق كل شيء بحسبه ، والسفينة لها مقدم ومؤخر وظهر وبطن ، وجانب أيمن وأيسر ولها جوانب ، ومن السفن ما هو كالمدينة ، وذكروا منها ما على ظهره سباق خيل ومطبعة صحيفة أخبار .

ولو عاش أبو حنيفة حتى رأى الجوارى المنشآت فى البحر كالأعلام التى هى مدن متحركة على ظهر البحر يضيع فيها الانسان لسعتها وتمدد طبقاتها وغرفها ، لعله كان لا يقول كيف يفترقان ؟ وإن كان الحديث ليس على شرطه من دلالة الكتاب والاجماع عليه

قال ابن عبد البر وذكر الساجى عن أبى حاتم الرازى عن العباس بن عبد العظيم العنبرى عن محمد بن يونس قال : إنما استتيب أبو حنيفه لأنه قال : القرآن مخلوق واستتابه عيسى بن موسى اه . فليكذب الكوثرى الخطيب وليصدق ابن عبد البر أو ليكذبه مع الخطيب .

وبسنده إلى ابن أبى عوانه الوضاح بن عبد الله اليشكرى (وليس بوضاع كما افتراه عليه الكوثرى) قال أبو عوانه سمعت

أبا حنيفه سئل عن الاشربه (يعنى الانبذة المسكرة) فما سئل عن شيء إلا قال حلال ، فسئل عن السكر فقال حلال . فقلت : ياهؤلاء إنها زلة عالم فلا تأخذوا عنه . اه . وسيدافع مجنون أبى حنيفه عنه أن الخمر المحرمه إنما هى من العنب فقط ، وإن كانت المدينه لاتعرف خمر العنب عند ما نزل تحريم الخمر ، وإنما كان خمرهم من البسر والرطب كما فى حديث أنس وغيره.

وأسند ابن عبد البر عن محمد بن جرير الطبرى بسنده الى الحكم بن واقد قال رأيت أبا حنيفه يفتى من أول النهار الى أن يعلى النهار فلما خف عنه الناس دنوت منه فقلت يا أبا حنيفة لو أن أبا بكر وعمر فى مجلسنا ثم ورد عليهما ما ورد عليك من هذه المسائل المشكلة لـكفا عن بعض الجواب ووقفا عنه ، فنظر إليه وقال أمحموم أنت يعنى مبرسما اه ص ١٤٧

فليعد محب أبى حنيفة ما فى هذه الحكاية من علم طريف فى السند والمتن وهل تؤيد حكاية السائل الخراسانى حامل المائة الف مسألة وهل استغراب الحكم بن واقد من جرأة أبى حنيفة من نوع استغراب ابن عيينه الجرأة على الفتوى فيما لا يعقل من المسائل أو ذلك لون آخر ؟ وعلى كل حال فهى مادة ليكتب عنها مجنون أبى حنيفة ونرجو منه عذراً لابن عبد البر فى إخراجها وليكن غير حسد الحكم بن واقد أو غيره من أحد رواتها وفيهم امام المفسرين والمحدثين ابن جرير رحمه الله تعالى .

وبسند ابن عبد البر ص١٤٨ الى أبى أسامة حماد بن أسامة قال مر قوم على رقبة ـ لعله ابن مسقله ـ فقال من أين جئتم قالوا من عند أبي حنيفة فقال يكفيكم من رأيه ما مضغتم وترجعون الى أهليكم بغير ثقة اهـ .

نقول لرقبة لعلك لم تذق لذة الرأى الحسن والعقاية الجبارة التي عند قدوة الأئمة ومقتدى الأمة فسميت ما سمعوا من رأيه مضغاً كمضغ العلك . وإنما الغريب رجوعهم عنه بغير ثقة فهل كنت يا رقبة حاسداً للامام الأعظم ، أم كنت ناصحاً ، والعجب أن يسكت هؤلاء الراجعون من أبى حنيفة على كلام رقبة فى أبى حنيفة وما مضغوه من رأيه ورجوعهم منه بغير ثقة ، فلم يعارضوا رقبة ولم يسكتوه ولم يؤنبوه فيه تأنيباً كتأنيب الكوثرى ، ولكن ما سكت عنه هؤلاء الراجعون من مجلس أبى حنيفة ، لا يمكن أن يسكت عنه مجنون أبى حنيفة ، بل سترى الطرائف والظرائف منه فى رقبة ومن دونه من رجال السند حتى أحمد ابن زهير اللهم سلمه من لسانه وقلمه واحفظ عرضه طاهراً من ولوغ الوالغين .

ص ١٤٨ : قال ابن عبد البر بسنده إلى ابن عيينة ، قال مر رجل بمسعر بن كدام فقال : أين تريد ؟ قال : أريد أبا حنيفة . قال : يكفيك من رأيه ما مضغت وترجع إلى أهلك بغير ثقة .

والمناقشة مع مسعر بن كوام كالمناقشة مع رقبة أنه لم يذق طعم الرأى الحسن ، ولم يعرف تلك العقلية الجبارة ، فسمى سماعها مضغاً ، ولكن العجب أن يكون الامام الأعظم وقدوة الأئمة ومقتدى الامة عنده غير ثقة ، سنرى ونسمع ما لم تر ولم نسمع فلنتمهل حتى نرى تأنيباً جديداً ، أو طبعة أخرى للتأنيب الأول يضم فيها ابن عبد البر خصما آخر لأصحاب العقول الجبارة ، فضلا عن مسعر بن كوام ورقبة والثورى وابن عيينة .

ص ١٥١ : قال ابن عبد البر وذكر الساجى عن بندار ومحمد بن المقرى عن معاذ بن معاذ العنبرى عن سفيان الثورى قال استتيب أبو حنيفة مرتين . اه

ولعل الثورى ذلك الامام الزاهد الورع التقى المحدث كان حاسداً للامام الأعظم ذى العقلية الجبارة والرأى الحسن قدوة الأئمة ومقتدى الأمة الذى لم ينتفع بأصحاب أحد ما انتفع الناس بأصحابه ، فنتركهم إلى قنطرة القصاص قبل دخول الجنة ونقول (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم) (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ولا تسألون عما كانوا يعملون)

ص ١٥١ : وذكر عن أبى عبد الرحمن المقرى قال : دعانى أبو حنيفة إلى الارجاء غير مرة فلم أجبه . اه . وحسناً فعل أبو عبد الرحمن المقرى إذ وقف مع سواد أهل السنة ، والجماعة

فى الايمان ولم يقل إن إيمان السكير كايمان جبريل وميكائيل

ص ١٥١ : وذكر ابن عبد البر قال : نا أحمد بن سنان القطان قال : سمعت على بن عاصم قال ، قلت لأبى حنيفة : حديث ابراهيم عن علقمه عن ابن مسعود أن النبي ﷺ صلى خمسا (أى سهواً) فأخذ أبو حنيفة شيئاً من الأرض ورمى به وقال : إن كان جلس فى الرابعة مقدار التشهد ، وإلا فلا تساوى صلاته هذه (أى القشة التى أخذها من الأرض)

ولا ندرى ما هو الأصل الذى أصله أبو حنيفة رحمه الله تعالى فى ردّ صلاة رسول الله ﷺ والاستدراك عليه وتصحيح ما يراه منها صحيحاً ، وإبطال ما يراه منها باطلا ، لا نعرف لذلك أصلا إلا أن يكون ذلك هو الرأى الحسن ، وحاشاه يقول ذلك فى العبادات ، وأحسن الظن به أنه لم يصدق حديث ابراهيم عن علقمة عن ابن مسعود ، غير أن التعبير الأبعد عن الايهام أن يقول : لعل ذلك لم يصح عن النبي ﷺ ، فان صح فسمعاً وطاعة (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون) وحينئذ يكون طعناً فى صدق ابراهيم أو علقمة أو ابن مسعود وذلك كله أهون من تخطئة رسول الله ﷺ التى هى كفر بالاجماع .

ص ١٥١ : وأسند ابن عبد البر عن بشر بن المفضل قال ، قلت لابى حنيفة : نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال « البيعان

بالخيار ما لم يتفرقا إلا بيع الخيار » قال هذا رجز ؟! فقلت قتادة عن أنس أن يهودياً رض رأس جارية بين حجرين فرض النبي ﷺ رأسه بين حجرين ، فقال هذا هذيان .

وعسى أن يكون بشر بن المفضل قد وهم فى هذا النقل عن أبى حنيفة أو عمن دونه فلا يقع فى قلوبنا عن مسلم أن يقول مثل هذا ، وأحسن محامله أن يكون شكا فى رواة الحديث ، والعجب على ابن عبد البر أن يسكت على مثل هذا بعد روايته فى كتاب كتبه فى فضائل الأئمة ومنهم أبو حنيفة !!

ص ١٣٢ وأسند ابن عبد البر عن عبد الله بن عثمان قال : سمعت عبد الله بن المبارك يقول : كان أبو حنيفة قديماً أدرك الشعبى والنخعى وغيرهما من الأكابر ، وكان بصيراً بالرأى يسلم له فيه ، ولكنه كان تسهيا (لعله يتيما) فى الحديث . اه وإذن لم يعترف له ابن المبارك بإدراك صحابى واحد ، فأقدم ما عنده الشعبى والنخعى .

والذى فى النسخة تسهيا فى الحديث أى متهما فيه ، والذى أحفظه فيما نقله محمد بن نصر المروزى يتيما فى الحديث ، أى قليل البضاعة فيه ، وهذه أهون من ذلك ، وأياً كان فابن المبارك لا يعترف لأبى حنيفة بعلم الحديث إلا يتماً أو اتهاما فيه ، لأنه امام فيه يرد ما شاء منه بما أصل لنفسه من أصول أو فطنة أو ذكاء ، وإنما هى الجرأة التى انفرد بها عن الأئمة .

ص ١٥٧ : وأسند ابن عبد البر من طريق أبي يعقوب المكي عن عثمان بن زائدة قال : كنت عند أبي حنيفة فقال له : ماقولك في الشرب في قدح أو كأس في بعض جوانبها فضة ؟ فقال لا بأس به ، فقال عثمان فقلت له ما الحجة في ذلك ؟ فقال : أما ورد النهي عن الشرب في إناء الفضة والذهب ، فما كان غير الذهب والفضة فلا بأس بما كان فيهما منهما ، ثم قال : يا عثمان ما تقول في رجل مرّ على نهر وقد أصابه عطش وليس معه اناء فاغترف الماء من النهر فشربه بكفه وفي أصبعه خاتم (أي فضه) فقلت لا بأس بذلك . قال : كذلك . قال عثمان فما رأيت أحضر جواباً منه .

ونحن بدورنا نحمد الله تعالى على التحلل من هذا القياس من تلك العقلية الجبارة قياس جواز الشرب في إناء مضبب بذهب أو فضة قد تكون الضبة أكثر حجم الآناء ، وأظهره وأكثره على جواز الشرب باليد فيها الخاتم ، وأقل الناس تفكيراً يدرك الفرق بين يد فيها خاتم فضة يأكل ويشرب بها ، إن ذلك ليس استعمالا لآنية فضة ، وبين اناء ضبب أو خلط فيه الذهب بغيره سبكا ، ولهتهن الذين يشربون ويأكلون في أواني الذهب والفضة بما أضيف سبكا إليها من نحاس قليل للصلابة والقوة أنهم يستعملون ما يباح ، كالاغتراف بيد فيها خاتم فضة ، أما من ليس لهم هذه العقول الجبارة فيحمدون الله تعالى على نعمته عليهم بعدم هذه العقول الجبارة التي أباحت لهم هذه الأواني المنهي عنها .

ص ١٥٤ : وأسند عن المذكور بسنده إلى علي بن المديني يقول : حدثت أن رجلا من القواد تزوج امرأة سراً فولدت منه ، ثم جحدها فخاكمته إلى ابن أبي ليلى ، فقال لها هات بينة على النكاح ، فقالت إنما تزوجني على أن الله عز وجل الولي والشاهدان الملكان ، فقال لها اذهبي وطردها ، فأتت المرأة أبا حنيفة مستغيثة ، فذكرت له ، فقال لها ارجعي الى ابن أبي ليلى فقولي له إني قد وجدت بينة ، فاذا هو دعا به ليشهد عليه قولي أصلح الله القاضي ، يقول هو كافر بالولي والشاهدين ، فقال له ابن أبي ليلى ذلك فنكل ولم يستطع أن يقول ذلك وأقر بالتزويج (التزوج) فألزمه المهر وألحق به الولد اه

أقول : إذا تجاوزنا ما صيغت به الحكاية الاشادة بذكاء أبي حنيفة وفطنته وإنقاذه لحرج الموقف ، ونفع هذه الخدن الموطوءة سراً بلا ولي ولا شهود ولا مهر حتى حملت ووضعت. إذا تجاوزنا عن هذا كله فالعجب من تصويرالحكاية بحيث يخفى على قاضي الكوفة ابن أبي ليلى أن هذا النكاح باطل ولو اعترف به الواطىء المتخذ خدنا لخلوه من ولي وشاهدين شرطتها الأحاديث وظاهر القرآن ، كحديث لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل ، والسلطان ولي من لا ولي له ، وحديث البغي أو العاهر هي التي تزوج نفسها ، وحديث البكر تستأذن والايم تستأمر ، وقول الله تعالى (إذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن

أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف) فخاطب الأولياء بالنهى عن العضل لأنهم هم الذين بيدهم أمر ابرام النكاح وعقده .

وما أدرى ماذا كانت فائدة هـذه الحيـلة إذا كان الواطىء المخـادن لبقا فأجاب القاضى انى أومن بالله وملائـكته ، ولـكن الله تعالى لم يشرع نـكاحاً ليس فيه ولىّ ولا شهود من الآدميين وجحد وطأ المرأة ، أفما كان عليها الرجم أو على الأقل التعزير .

ثم الذين يقولون بمقتضى هذه الحـكاية هل لنا أن نسألهم عن الفرق بين هذا النكاح المدعى صحته وبين سفاح المخادنة السرى وما يسـمى فى هـذا العصر بخـادمة السرير (كـمريره) وقصة الخليفة انجريد السويدية وولادتهـا ولداً من سـفاح ومن عشيق طليانى اعترف بولده منه ، وأمثالها كثير ، وكثير لا يحصى تذكـره الصحف الناشرة للخلاعة عن الأفرنج ومن سـار على منهجهم فى الفسوق والفجور . هل هنـاك فرق دينى من كتاب أو سنة بين هـذه الأنواع من الفسق والفجور والمخادنة ، وبين هذا النـكاح الذى صورته الحـكاية صحيحاً عن أبى حنيفة وألزم به القاضى بزعمه ، وساقوا حكايته لاثبات عبقرية أبى حنيفة .

ص ١٥٧ : وأسند ابن عبـد البر إلى حكام بن سلم قـال لأبى حنيفة ان العزرمى يقول « سافرت عائشـة مع غير محرم » فقال أبو حنيفة : وما يدرى العزرمى ما هـذا ؟ كانت عائشة أم المؤمنين كلهم ، فـكانت من كل الناس ذات محرم اهـ

ولا أدرى هل كان العزرمى يلتزم جميع لوازم الأمومة من خلوة وكشف زينة وتوارث ، أم يقتصر بها على الحرمة ، حرمة الزواج بهـا المنصوصة فى القرآن والاحترام والمودة فقط . وما لنا نسأل العزرمى ، وإنما نسأل مصور الحكاية هل هذه الامومة حرمت أخوات أمهات المؤمنين وبناتهن على المؤمنين ، وأجازت لهن الخلوة وكشف الزينة على المؤمنين ، فضلا عن قسمة ما يملكنه بعد موتهن على أبنائهن المؤمنين الخ .

أما سفر عائشة رضى الله عنها بغير محرم فلها عند الله عذر وتأويل نتركه لها . ولها عندنا من الحسنات ما يغطى ذلك

ص ١٥٨ وأسند عن زفر بن الهذيل قال : اجتمع أبو حنيفة وابن أبى ليلى وجماعة من العلماء فى وليمة لقوم فأتوهم بطيب فى مدهن فضة فأبوا أن يستعملوه لحال المدهن فأخذه أبو حنيفة وسلته بأصبعه وجعله فى كفه ثم تطيب به وقال لهم : ألم تعلموا أن أنس بن مالك أتى بخبيص فى جام فضة فقلبه على رغيف ثم أكله فتعجبوا من فطنته وعقله ، اه

وعجبى من مصور الحكاية أن يفوته أن أخذ أبى حنيفة للمدهن وسلت الطيب منه هو استعمال للمدهن الفضة واقرار لهذا الاستعمال ، فاذا قصد بها ذكر ذكاء أبي حنيفة فقد حطه فى الفهم والورع من حيث لا يشعر ، فتناول آنية فضة واخراج ما فيها هو استعمال لا يخفى على من دون أبى حنيفة

وأما استشهاده بقصة أنس فانا نطلب ممن وقف عليها مسندة فى غير هذه الحكاية أن يتحفنا بها ، لكن لا من طريق ابن الثلجى ولا الحسن اللؤلؤى وأمثالهما، ولا أن تكون بسند فيه أبو حنيفة لأنها ادعيت لذكائه ، فالتهمة فيها ظاهرة .

ص ١٥٩ : وأسند ابن‌عبدالبر إلى حمزة بن عبد الله الخزامى أن أبا حنيفة هرب من بيعة المنصور (مع) جماعة من الفقهاء ، قال أبوحنيفة لى فيهم أسوة ، فخرج مع أولئك الفقهاء ، فلما دخلوا على المنصور أقبل على أبى حنيفة وحده من بينهم ، فقال له : أنت صاحب حيل فالله شاهد عليك انك بايعتنى صادقاً من قلبك ، قال :الله يشهد علىّ حتى تقوم الساعة ، قال حسبك ، فلما خرج أبوحنيفة قال له أصحابه حكمت على نفسك ببيعته حتى‌تقوم الساعة قال إنما عنيت حتى تقوم الساعة من مجلسك إلى بول أو غائط أو حاجة حتى يقوم من مجلسه ذلك . اه

والعجب لحاكى الحكاية أن يخفى عليه حديث « يمينك على ما يصدقك عليه خصمك » لعله لا يصدق به ، وإن كان فى الصحيح - صحيح مسلم - لأنه ليس على شرط أصحاب العقلية الجبارة ، فلعله عندهم شاذ أو مرفوض بالرأى الحسن والأصول التى أصلها صاحب العقلية الجبارة .

فأبو جعفر المنصور فهم من عهد أبى حنيفه ، واشهاد الله عليه التأبيد من قوله (حتى تقوم الساعة) وهو الفهم المتبادر من أمثال

هذا التعبير ، وأبو حنيفة قصد إلى فهم بعيد خفى لا يدل عليه سياق ولا قرينة ولا شاهد حال .

وبعد فلو فتحنا هذا الباب من التلاعب بالألفاظ والكنايات الخفية لما استقام للناس عهد ولا عقد ولاختلت معاملاتهم وعقودهم ولم يبق اطمئنان ولا ثقة بعهد ولا عقد ولا قسم ، وخذ ما شئت من الفوضى ومرج العهود ما شئت فى ذلك ، ولو خرج أبو حنيفة على أبى جعفر المنصور بناء على ما أخفاه فى قلبه من تقييده بيعته بمجلسه إلى أن يقوم لبول أوغائط ، وظفر به المنصور بعد خروجه عليه وصلبه (منفذاً فيه حكم الخوارج) لما كان ملاماً عند الله تعالى ، لأنه عاقب خارجاً ناكثاً ببيعته أعطاها مع القسم واشهاد الله تعالى على أبديتها بكلام فهم منه المنصور ذلك ، وفهم منه الحاضرون ذلك ، ولو استشهد المنصور الحاضرين لشهدوا انه بايعه بيعة أبدية ولا ينفع أبا حنيفة - لا عند الله ولا عند الناس - أنه قصد بقوله (حتى تقوم الساعة) قيام المنصور لبول أو غائط من مجلسه ذلك لأنه قصد خفى مستتر لا تدل عليه العبارة ولا شواهد الحال ولا قرينة صارفة عن الظاهر المتبادر الذى فهمه المنصور والحاضرون معه فى المجلس ، والذى يفهمه كل ذى فهم مستقيم لم ينحرف عن الجادة بهذه الحيل .

وحديث (فى المعاريض غنية للبيب عن الكذب) لا يدخل فى نطاقه العهود والمواثيق والأيمان والعقود والخصومات ، لأنه

فى باب الأخبار إهاداً فكذب عنها بالمعاريض ، لأن باب الانشاء العقود والعهود ، وإلا فقل فى فساد العقود والمعامـلات ما شئت إذا اعتبرناهـذه الحيلة السخيفة وذلك التلاعب الصبيانى وذلك التحريف المكشوف .

وإذا سألنا أصحاب العقول الجبارة عن متعـاقدين على إيجار بستان أو مزرعة عشر سنين مثلا ، وبعد ذلك اختلفوا ، فقال المؤجر : أردت بعشر سنين أى جدبة قاحلة ، ولـكننا الآن فى أعوام خصبة هاطلة . وقال المستأجر : بل عقدت معك على عشر سنين ظرفاً للايجار تقدر بالأيام والأسابيع والشهور ، ولم نرد منها صفتها من خصب أو جدب ، فهل تحـكمون للمؤجر الملتوى بنية لا دليل عليها ، أم للمستأجر المتمسك بدلالة الـكلام وعرفه وظاهره وما يفهمه الناس فى أمثال هذه العقود .

وكذلك لو تعاقد الولى والزوج بلفظ « أنـكحتك بنتى أو أختى » وقال الآخر : قبلت . ثم اختلفا ، فقال الولى : أردت « بأنـكحتك » من تناكحت الأشجار تمايل بعضها إلى بعض . «وبأختى» فى الاسلام أو الانسانية ، فأميلك اليها أو أميلها إليك مرة على وجه المداعبة والتحلل من العقد ، وقال الآخر : فهمت من النكاح مايعرفه الناس جميعاً من عقد زوجية تحل بها المعاشرة والتمتع والاستيلاد والتوارث الخ ما يبيحه عقد الزواج والنكاح .

فهـل يحكم ذوو العقول الجبارة لالتواء الولى أو لصراحة

المزوج وهكذا . ولقد أذكرتنى هذه العقلية الجبارة ما استسخفه الغزالى فى إحيائه مما نقل عن أهل الحيل أن أحدهم يهب مائة لزوجته أو غيرها قبل الحول بيوم ثم يسترده منها بعده بيوم فتسقط عنه الزكاة التى قاتل الصديق مانعيها ، فهذا السخف والتلاعب بدين الله تعالى الذى نفر الناس من هذا الهزء فأنكروا ديناً يجىء بهذا التلاعب ، ولعلهم لا تبلغهم هذه الحكاية عن أبى حنيفه مع المنصور ، أو لعلهم إذا بلغتهم يكذبونها ولا يصدقون أن ينسب لامام من المسلمين متبوع فيهم أن يصدر منه مثل هذا الهراء .

كما أذكرتنى الاحتيال على استعمال مدهن الفضة بحيلة صبيانية ما كنت سمعته عن حضور رهط من العلماء إلى مجلس بعض الخديويين أمير مصر أنهم زاروه وصبت لهم القهوة فى فناجين تحمل على ظروف ذهبيه ، فلما اعترض على من شرب منهم فى ذلك أجاب أنه كان يرفع الفنجان الصينى بأصبعيه عن ظرفه الذهبى ، فلم يكن بذلك مستعملا لآنية الذهب .

فليت هذا التخلص يعرض على شاشة بيضاء لرواية هزلية مسلية للأطفال والنساء ، لا عبقرية عالم نحرير يتقى الله تعالى فى امتثال أوامره فى تحريم أوانى الذهب والفضة ، فلا يحتال عليها بأمثال هذه المضحكات .

هذا وستجد فى الكتاب المذكور (انتقاء ابن عبد البر)

مناقشات لقتادة وعطاء ، ولما نقل من ابن عباس استدراكا عليه رأيت الاعراض عنها خيراً من الاشتغال بها ، وعناء مناقشتها ، فالوقت أنفس من ذلك كله ، والزمن يخطو خطا سريعة ونحن نيام أو أموات .

وقال الامام محمد بن نصر المروزى فى كتابه « قيام الليل » فى باب ذكر الوتر بثلاث عن الصحابة والتابعين .

ص ١٢٣ : طبعه عبد التواب الملتانى رحمه الله بالهند بعد ما ذكر الروايات فى ذلك عن الصحابة والتابعين ؛ ثم قال : وزعم النعمان — يعنى أبا حنيفة ـ ان الوتر بثلاث ركعات لا يجوز أن يزاد على ذلك ولا ينقص منه ، فمن أوتر بواحدة فوتره فاسد ، والواجب عليه أن يعيد الوتر بثلاث لا يسلم إلا فى آخرهن ، فان سلم فى الركعتين بطل وتره ، وزعم أنه ليس للمسافر أن يوتر على دابته ، لأن الوتر عنده فريضة ، وزعم أن من نسى الوتر فذكره فى صلاة الغداة ـ أى الصبح ـ بطلت صلاته وعليه أن يخرج منها فيوتر ثم يستأنف الصلاة ، وقوله هذا خلاف للأخبار الثابتة عن رسول الله ﷺ وأصحابه ، وخلاف لما أجمع عليه أهل العلم ، وإنما أتى من قلة معرفته بالأخبار وقلة مجالسته للعلماء .

سمعت إسحاق بن ابراهيم ـ يعنى ابن راهويه شيخ الجماعة ـ يقول ؛ قال ابن المبارك : كان أبو حنيفة يتيما فى الحديث « أى بخلاف رواية ابن عبد البر تهيما من التهمه » حدثنى على بن سعيد

النسوى ، قال سمعت أحمد بن حنبل يقول : هؤلاء أصحاب أبى حنيفة ليس لهم بصر بالحديث ما هو إلا الجرأة . قال محمد ابن نصر فاحتج له بعض من يتعصب له ليموه على أهل الغباوة والجهل الخ ما ساق من المناقشه إلى أن قال : ولم نجد فى شىء من الأخبار أنه ﷺ قضى الوتر ، قال وزعم النعمان – يعنى أبا حنيفة – فى كتابه أن النبى ﷺ قضى الوتر فى اليوم الذى نام فيه عن الفجر حتى طلعت الشمس ، فزعم أنه أوتر قبل أن يصلى ركعتى الفجر ، ثم صلى الركعتين ، وهذا لا يعرف فى شىء من الأخبار . اه ما أردت نقله ولا أريد أن أعلق عليه .

• • •

قد فرغنا مما أحوجنا إلى كتابته محب جاهل غال فى رجل من المسلمين نظن به الخير وأنه لا يحب هذا الغلو المقوت فيه ، وأنه قدم على الله تعالى هو وخصومه يحكم بينهم (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ولا تسألون عما كانوا يعملون) وليس علينا إلا الاهتداء بهديهم والدعاء لهم بالغفران والرحمة ، وأدعو الله تعالى بهذا الدعاء المأثور « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم »

ويقول الله تعالى عن خيار عباده المؤمنين (ربنا لاتجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم) وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين)

وصلى الله على نبينا محمد النبى الامى خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه وسلم الى يوم الدين

وقع خطأ فى ص ٦٠ سطر ١٢ و ١٥ كلمة (تسهما) وصوابها بهما — أى متهما .

الفهرس